

سِرُّ الْعَالَمَيْنِ

وَكشَفُ مَا فِي الدَّارَيْنِ

تأليف

حجة الاسلام ابي حامد الفزالي

منشورات

مكتبة الثقافة الدينية

في النجف الاشرف

لصاحبها : محمد الكتبي

2
الطبعة الرابعة

طبع بمطابع النعمان - النجف الاشرف

BOBST LIBRARY



3 1142 02841 8203



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY



New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

Phone Renewal:
212-998-2482
Web Renewal:
www.bobcatplus.nyu.edu

DUE DATE	DUE DATE	DUE DATE
ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL		

DUE DATE
DEC 2 04 2008
bobst library
Circulation

RETURNED

PHONE/WEB RENEWAL DUE DATE		



al-Ghazzālī

سِرُّ الْعَالَمَيْنِ

وَكَشَفُ مَا فِي الدَّارَيْنِ

تأليف

حجة الاسلام أبي حامد الغزالي

Sirr al-‘ālamayn

منشورات

مكتبة الثقافة الدينية

في النجف الاشرف

لصاحبها : محمد الكتبي

الطبعة الثانية

١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

مطبعة النعمان - النجف الاشرف

كلمة الناشر

Wear East

تعز (مكتبة الثقافة الدينية) في النجف الأشرف أن تقوم
بطبع هذا الأثر القيم الذي دبحته براعة علامه عصره الامام الغزالي
وهو كتاب (سر العالمين وكشف ما في الدارين) ، وقد قامت
بتصحيحه على نسخة مخطوطة موجودة في مكتبة الخطيب
الكبير العلامة السيد علي الهاشمي - حفظه الله تعالى وأبقاه -
وفنتهز الفرصة لتقديم الشكر والثناء العاطر الى أصحاب الفضيلة
العلماء الذين قاموا بمساعدتنا في اخراج هذا الكتاب بهذا المظهر
الجذاب ، والله من وراء القصد .

محمد الكتبي

صاحب مكتبة الثقافة الدينية

JC

393

A3

G44

1965

C.1

مقدمة الكتاب

حياة الغزالي :

هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الملقب
حجة الاسلام الطوسي الفقيه الشافعي، قيل لم يكن للطائفة الشافعية
- في آخر عصره - مثله، اشتغل في مبدأ أمره بطوس على أحمد
الرادكاني ثم قدم نيسابور واختلف الى دروس إمام الحرمين أبي
المعالي عبد الملك بن أبي محمد عبدالله بن يوسف الجويني الفقيه
الشافعي المتوفى في ذي الحجة سنة ٤٣٨ هـ، وجد الغزالي في
الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة وصار من الأعيان المشار اليهم
وصنف في ذلك الوقت، له نحو مائتي مصنف، قال أبو الفرج
ابن الجوزي في كتاب (تليس إبليس) المطبوع (ص ١٧٦)
ما هذا لفظه: « وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم (أي للصوفية)
كتاب الإحياء على طريقة القوم وملاؤه بالأحاديث الباطلة وهو
لا يعلم بطلانها وتكلم على المكاشفة وخرج عن قانون الفقه » ثم
ذكر ابن الجوزي ذم الإحياء وأمثاله وقال: « إن هذه الكتب
كتب بدع وضلالات » ثم ذكر عبارات عديدة (ص ٥٩٧) من
الإحياء التي فيها الضلالات (بزعمه) .
وقال الحلبي في (كشف الظنون) عند ذكره (إحياء العلوم)

ما هذا لفظه : « قال أبو الفرج ابن الجوزي قد جمعت أغلاط الكتاب وسميته (إعلام الأحياء باغلاط الإحياء) أشرت الى بعض ذلك في كتابي (تلييس ابليس) ، وقال سبطه أبو المظفر : « وضعه على مذاهب الصوفية وترك فيه قانون الفقه فأفكروا عليه ما فيه من الأحاديث التي لم تصح » قال المولى أبو الخير : « وأما الأحاديث التي لم تصح لا ينكر على إيرادها لجوازها في الترغيب والترهيب » وقد اختصر إحياء العلوم أخو الغزالي أحمد بن محمد وسماه لباب الإحياء ، وهذب الإحياء المولى المحقق الكاشاني صاحب الوافي الفيض المتوفى سنة ١٠٩١ هـ ، وسماه (محجة البيضاء في تهذيب الإحياء) طبع في إيران في ثمانية أجزاء .

مؤلفاته :

أشهرها إحياء علوم الدين ، مطبوع طبعات عديدة ، وقد شرحه الزبيدي صاحب (تاج العروس) في عشر مجلدات (مطبوع بمصر) وتهافت الفلاسفة ، مطبوع ، والاقتصاد في الاعتقاد ، مطبوع ، ومحك النظر ، مطبوع ، ومعارج القدس في أحوال النفس ، مطبوع ، والفرق بين الصالح وغير الصالح ، مخطوط ، ومقاصد الفلاسفة ، مطبوع ، والمضنون به على غير أهله ، مطبوع — وفي نسبته اليه كلام — والوقف والابتداء في التفسير ، مخطوط

وتنزيه القرآن عن المطاعن ، مطبوع ، والبسيط ، في الفقه ،
 مخطوط ، والمعارف العقلية ، مخطوط ، والمنقذ من الضلال ،
 مطبوع ، وبداية الهداية ، مطبوع ، وجواهر القرآن ، مطبوع ،
 وفصائح الباطنية ، طبع قسم منه ، والتبر المسبوك في نصيحة
 الملوك ، كتبه بالفارسية ، وترجم الى العربية ، والولدية ، وهي
 رسالة أكثر فيها من قوله (يا ولد) ، مطبوع ، ومنهاج العابدين
 — قيل هو آخر مؤلفاته — مطبوع ، والجام العوام عن علم الكلام
 مطبوع ، ورسالة الطير ، مطبوع ، والدرة الفاخرة في كشف علوم
 الآخرة ، مطبوع ، وشفاء العليل في أصول الفقه ، مخطوط ،
 والمستصفي من علم الاصول ، مطبوع في مجلدين ، والمنخول
 من علم الأصول ، مخطوط ، والوجيز في فروع الشافعية ، مطبوع
 وياقوت التأويل في تفسير التنزيل ، كبير ، قيل في نحو أربعين
 مجلداً ، مخطوط ، وأسرار الحج ، مطبوع ، والاملاء عن اشكالات
 الإحياء ، مطبوع ، وفيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ، مطبوع
 وعقيدة أهل السنة ، مطبوع ، وفصائح المعتزلة ، ويعرف بالمستظهري
 مطبوع ، وميزان العمل مطبوع ، والمقصد الأسنى في شرح أسماء
 الله الحسنى ، مطبوع ، وله مؤلفات أخرى بالفارسية .
 ومن مؤلفاته التي تنسب اليه كتاب « سر العالمين وكشف

ما في الدارين » وهو الذي بين يديك ذكره سبط ابن الجوزي في (ص ٣٦) من كتابه (تذكرة خواص الأمة) المطبوع في ايران سنة ١٢٨٥ هـ ، قال في الصفحة المذكورة ما هذا نصه : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام يوم غدیر خم : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فقال عمر بن الخطاب بخ بخ يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، قال : وهذا تسليم ورضاء وتحكيم » ، الى آخر قوله : ثم قال سبط ابن الجوزي « هذه صورة كلام الغزالي » ، انظر القصة في (كتابنا هذا) •

ومتن نسب كتاب سر العالمين للغزالي القاضي نور الله التستري في مجالس المؤمنين ، والشيخ علي بن عبدالعالي الكرکي — فيما نقل عنه — والمولى محسن الفيض الكاشي صاحب الوافي والطريحي في مجمع البحرين ، وغيرهم زاعمين أنه تشيع في آخر عمره ، والله أعلم بحقيقة حاله ، أنظر تفصيل ترجمة حياته في (روضات الجنات) للسيد الخوانساري (ص ٧١٩) وفي مجالس المؤمنين وغيرهما •

وقد طبع كتاب (سر العالمين) في ايران والهند ، وهذه هي الطبعة الثالثة ، فقد قام بطبعها الشهم الهسام الشيخ محمد الكتبي

صاحب مكتبة الثقافة الدينية في النجف الاشرف فجزاه الله خير
جزاء المحسنين .

مولده ووفاته :

ولد الغزالي في (الطَّابَران) — وهي قُصبة طوس، بخراسان —
سنة ٤٥٠ هـ ، وتوفي بها سنة ٥٠٥ هـ ، ودفن بظاهر (الطابران) .
والغزالي — بفتح أوله وتشديد الزاي — نسبة الى الغزال
صانع الغزل لأن والده كان يغزل الصوف ويبيعه في دكانه ، وقيل :
إن الزاي مخففة نسبة الى (غزالة) قرية من قرى طوس .

وقد ترجم الغزالي في أكثر المعاجم الرجالية ، وقد كتب
الاستاذ طaha عبد الباقي سرور رسالة في حياة الغزالي ، وطُبعت
بمصر ، ومثلها ليوحنا فمير ، ولجميل صليبا ، وكامل عياد ، ولمحمد
رضا ، ولزكي مبارك مؤلف سماه الأخلاق عند الغزالي ، مطبوع
بمصر ، ولأحمد فريد الرفاعي رسالة في حياة الغزالي سماها
(الغزالي) طُبعت بمصر ، ورسائل أخرى كثيرة مطبوعة بالعربية
والتركية .

(الطباطبائي الحسيني)

كَلِمَةُ الْمُؤَلِّفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأول في ربوبيته ، والقديم في أزليته ، والحكيم في سلطنته ، والكريم في عزته ، لا شبيه له في ذاته وصنعتة ، ولا نظير له في مملكته ، صانع كل مصنوع بقدرته ، المتكلم بكلامه الأزلي ليس بخارج عن صفته ، أحمدته على نعمته ، واستعين به على دفع تقصته ، هو الله ربي وحده لا شريك له الواحد في ربوبيته الذي يختص من يشاء برحمته ، ختم الأنبياء بمحمدٍ سيد صفوته صلى الله عليه وآله وأصحابه وعترته وسلم .

(وبعد) قال السيد الامام زين الدين حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله روحه : لما رأيت أهل الزمان همهم قاصرة عن نبيل المقاصد الباطنة والظاهرة ، سألني جماعة من ملوك الأرض ان أصنع لهم كتاباً معدوم المثل لنيل مقاصدهم واقتناص الممالك وما يعينهم على ذلك ، استخرت الله تعالى فوضعت لهم كتاباً وسميته بكتاب « سر العالمين وكشف ما في الدارين » وبوّبته أبواباً ومقالات وأصراً ، وذكرت فيه مراتب صواباً وجعلته دالاً على طلب الملكة وحاتاً عليها وواضعاً

لتحصيلها أساساً جامعاً لمعانيها ، وذكرت كيفية ترتيبها وتديرها ،
فهو يصلح للعالم والزاهد ، وهو شريك شرك الملك بتطبيب قلوب
الجند وجذبهم اليه بالمواعظ .

واول من استنسخه وقرأه علي بالمدرسة النظامية سرّاً من
الناس في النوبة الثانية بعد رجوعي من السفر رجل من أرض
المغرب يقال له محمد بن تومرت من أهل سلمية ، وتوسمت فيه منه
الملك ، وهو كتاب عزيز لا يجوز بذله لأن تحته جمل أسرار تفتقر
الى كشف ، اذ طباع العالم نافرة عنها ، وتحته علوم غزيرة واشارات
كثيرة دالة على غوامض اسرار لا يعرفها الا فحول العلماء ولا
يدركها الا كبار الحكماء ، فالله تعالى يوفقك للعمل به فانه دال
على كل ما تريد ان شاء الى ههنا كلام المصنف .

قال الحسين الواعظ الفقير الى الله : لما رأيت هذا الكتاب
مستصعب الردم كعقواء مغرب وقد صار مثلاً بين الناس وأكثرهم
فيه شاكّون هل كان أم لا ؟ وطائفة مكذبون انه ما كان أصلاً ،
واكثرهم الناس مبنية على مجاهدات الاشياء النفيسة وهم بين
مكذب وشاكّ وممتحن وقاذف ، العالم عندهم محقور وفقير بعين
الازدراء منظور والكرامة عندهم سحر أو كهانة ، وهم يسبحون
في عشواء مظلمة . وكل من ذكر له هذا الكتاب نفر وكذب ،

وشعر وبغر ^(١) وتعاطى وأنكر ، وضرب بكم كبره على مزابل
 رُغوفاته ، وثار غبار جهله وتكذيبه ، وصار الجمع الا ما شاء
 الله صم اذا نودوا ، كأن لم يعلموا أن الكلام لهم حلال مطلق .
 فلما علم الله من الخلق جحودهم وتكذيبهم انشقت صدفة
 العدم عن ظهور درة ظاهرة من سلالة ظاهرة فاضت عن بحر ظهر
 محمد بن علي بن ابي منصور سيد الوزراء ومعين العلماء والد
 اليتامى والفقراء حامى دوحة الكرماء والمحامي بحر مضجع وسيد
 الأنبياء ذو الكرم والضوضاء سيد الرجال والمشييع بالنوال ،
 فرحة الله عليه ما برق البارق وذرت المشارق .

فلقد أظهر الله من ذريته الظاهرة محيي ذكره وخليفته في
 عصره ، فعلي كعلي وجلال كالجمال ، مد ساعد سعاداته بعون
 عين ارادته ، فاستخرج بعلمه همة هذا الكتاب المذكور من خزائن
 العلوم الى ظاهر الظهور ، فلما طلبه وجده وجاهد أجابه ليعلم
 خادم لأبيه ، فأعانه على طلبه وملتسمه ، كل ذلك بسعاداته وعين
 علو همة ، ليعلم الجاهل الغبي انه اخو النباهات ، وسيد العلوم
 والمعلومات ، لودعي الهمة قاصد لرضا الله ، طاهر الباطن والظاهر
 لطيف الاخلاق والسرائر ، جعله الله مؤيداً منصوراً متوجاً بالكرامة

(١) شعر بغير ببنائهما على الفتح : تفرق .

محبوراً ، ولقاءه في الدارين نضرةً وسروراً وبلغه انهى مراتب
المسعودين من الصالحين (١) .

ترجمة الأبواب ، وهي ثلاثون مقالة :

المقالة الأولى

في تدبير أمور المملكة

اعلم ان الملك عظيم وعقيم ، وعليه وقع الاشتباك والمناقشة
بين الصالح والطالح والخاسر والرابح والأسفل والاعلى والعزیز
والاذنى ، فمنه ينشعب الحسد وكل عرض وغرض مزعزع ، ولا بد
له من أصل ومرتبة وتحصيل وصبر وحلم ، وجمع اموال لبلوغ
آمال ، وام الفروخ في تحصيله هو علو الهمة كما قال معاوية :
« هموا بسعالي الامور لتنالوها ، فاني لم أكن للخلافة أهلاً » فهست
بها فنلتها » .

وقد مرت بك قصص الملوك المتقدمين ، فانظر في أخبارهم
وآثارهم ، فما بلغ أحدهم درجة الملك بأبٍ وأم غير قليل منهم :
وكم نزع الملك من يد وارثٍ مستحق

مثل أهل بيت محمدٍ وسواهم
وستنلو عليك زبدة من قصة ذي القرنين وهو صعب بن

(١) من « الى ههنا كلام المصنف » الى هنا ليس في النسخة

المخطوطة .

جبل وأبوه نساج واسم امه هيلانة ، كان يتيماً في بني حمير ،
وسمعت امه بيت الصنائع في مدينة قسطنطين ، فحملت ابنها
الى ذلك البيت ، فشاهد صورة الملك فوق الصنائع كلها ، فقالت
له امه : يا بني اختر منها ما تريد .

فوضع يده على تاج الملك ، فاتهرته مراراً فلم ينته ، فنظر
اليها يوفان فقال لها : أنت هيلانة وهذا ابنك صعب بن جبل ؟
فقالت : نعم . فأخذ عهداً من ذي القرنين وذمامة علي اني وذريتي
في أمانك ، فأنت الملك الذي تسحب ذيلك بطريق التملك شرقاً
وغرباً .

فحملته امه الى أرض بابل وهي كاتمة لأمره ، فكان من بدو
أمره وشواهد سعادته ثلاث منامات رآها في ثلاث ليال : فأولهن
انه رأى كأن الارض صارت خبزاً فأكلها . وفي الثانية رأى كأن
قد شرب البحار وأكل طينها . وفي الثالثة رأى كأن قد رقى الى
السما ففقد نجومها ورمائها الى الأرض وركب الشمس وصحب
ناصرته القمر .

فلما اجتمع بالخضر فسر له اليه فبشره بنيل الملك الأعظم
وسيصبح نبياً وحكيماً .

وكم من مثله ان اعتبرت ، فاركب نسر علواً لهمه ، وحصل

آلاتها ليتم لك كيميائوها ، وصيّر عندك نديماً عالماً كاتباً مطلعاً على كتبها - اعني كتب سر العالمين - ثم حصل ارباب صناعة التقلب الذين هم علماء بقلب الكيان قادرين على صنع الاحمر والابيض ، فان كنت قليل الرجال ضعيف العضد وقليل المال فكنت كثير الفضل والعلم ، واتخذ لنفسك زاوية على طريق الزهد ، واجذب اليك تلاميذ وكثر عددهم واتخذ لهم طريق الكرامات لينصبوا اليك ، واستهو الكبار وأسلك بهم طريق الصلاح وربها لنفسك ، واحتل واحتل ، فاذا هب نسيم سعادتك فاكشف لتلاميذك ما الناس عليه من الفسق والفجور وارتكاب ما لا يجوز من كل أمر منكر ، وقل لهم : هذا وقت الأفكار على سبيل الاختصار والمواظ واللين .

أمر أصحابك لتستهوي وتجذب كل طائفة منهم لطائفة قوم آخرين ، فاذا استقوت شرذمتك فخذ الخواص من الناس باللين والرفق والموعظة ، والمعاندين بالجدل ، وأولي الغلظة بالغلظة .
ألم تر الى بدء الاسلام كيف كان « قل يا أيها الكافرون » ، فلما وصل الى ركوب قبة السعادة قرر بسيفه « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب » ، وعند الضعف والمسألة أخذ الجزية والصلح « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » ، وعند هبوب ريح

السعادة وارتفاع أطناب خيم الارادة » ما كان لنبي أن يكون له اسرى حتى يشخن في الأرض » •

فكن أيها الطالب للملك على هذه الوتائر ، وخاطب الناس على قدر عقولهم ، واطهر العدل ، واحترم أولي الفضل ، واشبع الجند ، واجبر الكسر ، وانصف ولو من نفسك ، وأشبع حجابك وحكامك وعمالك ، فإن لم تفعل سرت الرشوة الى بطلان الحق وتعطيله ، وفشا ظلمك في الرعية ومالت القلوب عنك ، وربما ذهبت باطناً وظاهراً •

(واعلم) ان المظلوم له همة تكون وافية في عكس أغراضك مثل همم أرباب الاستسقاء فانها مؤثرة في الفلك لاستجلاب ماء الغمام ، وسأتلو عليك قصة السلطان محمود ابن سبكتكين ، وقد نفذ وأرسل رسولا الى ملك الهند وقال : ما سبب طول أعماركم مع جحودكم للصانع وتكذيبكم للرسل والوسائط ونحن قصار الأعمار مع تصديقنا وإيماننا ؟

فقال ملك الهند لرسول السلطان : انظر الى هذه الشجرة التي فوقها ثمرة لا اعطيك الجواب حتى تنقلع • ثم أمر بالادرار عليه وحسن الإقامة ، فضاقت صدره وتعلقت همته بقلعها ، فلم يك الا مدة قليلة اذ سمع هدة وقع والناس يهرعون ، ومشى معهم

فإذا الشجرة واقعة والملك مفكر • فلما بصر الملك بالرسول قال له : اذهب فهذا جوابك ، وقل للسلطان هذه همة واحدة همة رجل واحد أثرت في قلع شجرة مثمرة ، فكيف هم جماعة من المظلومين تؤثر في قلع الظالمين ، اذ دعاء المظلوم محمول على الغمام •
(وقد ورد) في بعض الكتب السالفة : انا الظالم ان لم أنتقم من الظالم •

وفي بعض الآثار يقول الله تبارك وتعالى : اتقوا دعوة من لا ناصر له غيري •

(واعلم) ان العدل وبسط باع السلطنة بالهيبة مثل القتل والصلب والقطع ^(١) شيم الأمن وتهيد الارض وطمأنينة قلوب الرعية ، اذ السلطان ظل الله في الارض وملجأها يأوى اليه كل مظلوم ولا يهب وضع الشيء الا في مكانه ، اذ القتل أنقى للقتل ، « ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب » •

وكان عمرو بن العاص صحابياً بدرياً نبّه معاوية ، وجسره على فضائح الافعال بقصائده اللامية والنونية التي قال : « معاوى في الخاق لا تعدل » والاخرى « معاوى اني لم ابايعك فلتة »

(١) اذا كانت هذه الاشياء قصاصاً وأسباباً لاستتباب الأمن والا لم تكن الا ظلماً •

وفي الاخرى « افنك ولو مرة في الدهر واحدة » واخرى :
وكم للشيخ عندي من خزايا تدل على المعاوى والمخازى
وطريق آخر في استدعاء المملكة وتربيتها ، وهو بذل الاموال
لبلوغ الآمال .

وطريق آخر وهو بالسيف معقود لكنها مفتقرة الى ترك
الشح مع الجند واجابة دعوة المظلوم ، ولا تتعرض الى الشقوصة (٢)
الموقوفة ، وتجعل للرعية والسواد في كل مدة مطالعة أحوالهم ،
فقد ينشعب الظلم مع الغفلة ، لا سيما من العمال والحجاب .
ولينظر في مجارى الكتاب ، فما كذبت بنت كسرى اذ سمته
ديوانا . ولينظر في وقت العشاء ما كتبه الكتاب بالنهار لئلا يتم
عليه حيل ، أرباب الدساتير ، فكم من مظلوم عن حقه صد لغفلة
الملك عنه ، فاذا أردت ان لا ينحجب عنك حال فامتنع عن الكلام
وأمر بأخذ القصص ووقع فيها بما تراه .

المقالة الثانية

« الترتيب في قعود الملك وسياسة يومه وليلته »

اذا صليت صبحك تقعد في ذكر الله الى طلوع شمسك ،
ثم تأمر أهل دارك ومن حولك بما تريده من حوائجك في مآكل

(٢) الشقوصة : الحصص .

ومشرب ، ثم تركب لتسمع خبراً أو يلقاك محجوب أو تلبى مظلوما
أو تطلع على الحوادث ، ثم تعود وأنت محفوف بالقعقة والسلاح
والتحرز عن طمع الاعداء ، ثم تقعد في دار عدلك لكشف المظالم
وسماع الرسل وتترك الناس صفيين يميناً وشمالاً والوسط مفتوح
لثلا يحجب عنك منظور ومظلوم وصاحب حاجة ، وتسال عن
تكره ولا تستخدم من لا تعرفه الا بخيرة او ضمان او تسليم الى
عقيدة عصبية .

وليكن جماعة من أرباب العلم والعقل والتجارب في الرأي
والمشورة ووزراء خير لا فسقة ، فمن ليس بأمين لنفسه فكيف
على سواه ، ثم تنهض من مجلسك قبل الظهر وليكن له عين
في الديوان لما يجري ، فاذا دخل منزله بسط الطعام ومدّ الخوان
للجند والاخوان ، وليكن كثير التعاهد والتفقد وجبر القلوب
المنكسرة ، وليكن على الطبخ أمين مما أساء اليه فان القلع ثمرة
الاساءة ، ثم يأخذ طعم الطبخ طابخه ثم حامله ثم واضعه عند
الملك بغمس اللقمة في جميعه فقد مات شهريار بن زاد بنصف
تفاحة قطعت ، وقد مات ساسان بنصف قدح شراب مسلم شريكه
مع عطيته ، وقد سمّ النبي بذراع مشوي كان السر في محبته له
لقرب المشرع من المسعى ، وقد سمّ أبو لؤلؤ سيكّيته التي طعن

بها عمر بن الخطاب ، وسم عبد الرحمن بن ملجم من مراد سيفاً
ضرب به قمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، وسمت حضار
بنت جؤجؤة بن كعب الغساني ^(١) لزوجها الحسن بن علي ،
وكان سبب الاغتيال به شامياً بحب من عنب غير مغسول • وكم
مثل ذا في الدهر ما ليس يحصر •

وتحترز من السموم في طعامك وشرابك ولبائك ومنامك
حتى من منديل فراشك ، وليكن خارج العالم مجرداً مشرداً
مداحلاً لهم في معرفة غوامض أحوالهم بالترسل والتجسس وكشف
الاخبار من البلاد بجواسيس ساذجة متكررة مختلفة مثل فقير
وصوفي وسوقي وتاجر وطير وكتب ، وقد كان المأمون له أصحاب
خبر يستجلبون له أخباراً من الطريقة هكذا سنن الملوك •

فصل

وهو المقالة الثالثة

في مسامرة الملك

ويستحب للملك سهر اول الليل الى نصفه لقضاء المهمات
والقصص المستورات ، ونوم النهار عون على سهر الليل ، ونوم
(١) كذا يذكر المؤلف هنا والمعروف عند المؤرخين انها جعيدة
بنت الأشعث •

آخر الليل يذهب تعب السهر ، والحمائم من غير اطالة محبوب
والتعهد بالاشربة الموافقة للأمزجة .

وليحترز عن تزوير العلائم ويمتنح ويستدرج فالخطوط
تشتبه ، فأول داهية عثمان بن عفان كانت من توقيع محمد بن
أبي بكر ، وهي مذكورة في سير الناس تتداول بها القصص .

ولا تفضل السرارى على النساء ، فقد يحصل من مراجيع
الغيرة ما لا طاقة به ، فكم من محصول على الغيرة ثمرتها أعظم
من ثمرة الحسد !!

ويجب على الملك أن يكون وريداً لا أحب له من حيث
السياسة ، ولا يركن الى الأمن من خوف الدهاية ، وبرهان الشعر
ظاهر من قوله :

فلم تزل قلة الانصاف قاطعة بين الانام ولو كانوا ذوى رحم
ويجب عليه التعهد لأصحاب أبيه ولو كانوا فقراء ، ومراعاة
أصحابه الذين كانوا معه قبل سلاسل التملك ، فمن لطائف اخلاق
رسول الله (ص) كانت تتردد اليه امرأة يهودية فينهض لها قائماً
فقال له عائشة : أتقوم لامرأة يهودية قائماً ؟ قال : هذه كانت
تتردد الينا في زمن خديجة ، وحسن العهد من الايمان ، وزناد
الشعر قادح :

لا تلق في برئ شربت زلالها آجرة فيقال انك غادر

باب في المقالة الرابعة

في ترتيب الخلافة

اختلف العلماء في ترتيب الخلافة وتحصيلها إن آل أمرها إليه : فمنهم من زعم انها بالنص ، ودليلهم قوله تعالى : « قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وان تتولوا كما توليتهم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً » ، وقد دعاهم أبو بكر الى الطاعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأجابوه .

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى « واذا أسر النبي الى بعض أزواجه حديثاً » قال في الحديث : ان أباك هو الخليفة من بعدي يا حميراء . وقالت امرأة : اذا فقدناك فالى من نرجع ؟ فأشار الى أبي بكر . ولأنه أم بالمسلمين على بقاء رسول الله والامامة عماد الدين .

هذا جملة ما يتعلق به القائلون بالنصوص ، ثم تأولوا وقالوا : لو كان علي (ع) أول الخلفاء لاسحب عليهم ذيل الفناء ولم يأتوا بفتوح ولا مناقب ، ولا يقدح في كونه رابعاً للخلفاء كما لا يقدح في نبوة رسول الله (ص) اذا كان آخرأ .

والذين عدلوا عن هذه الطريقة زعموا أن هذا تعلق فاسد جاء على زعمكم وأهويتكم ، فقد وقع الميراث في الخلافة والاحكام مثل داود وسليمان وزكريا ويحيى . قالوا : كان لأزواجه ثمن الخلافة . فبهذا تعلقوا وهذا باطل ، اذ لو كان ميراثا لكان العباس أولى ، لكن أسفرت الحجة وجهها وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته في يوم غدیر خم " باتفاق الجميع ، وهو يقول صلى الله عليه وآله وسلم « من كنت مولاه فعلي مولاه » فقال عمر : بخ بخ لك يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة .

فهذا تسليم ورضى وتحكيم ، ثم بعد هذا غلب الهوى لحب الرياسة وحمل عمود الخلافة وعقود البنود وخفقان الهوى في قعقة الرايات واشتباك ازدحام الخيول وفتح الأمصار سقاهاهم كأس الهوى فعادوا الى الخلاف الأول فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون .

ولما مات رسول الله (ص) قال قبل وفاته « ايتوني بدواة وبياض لأزيل عنكم اشكال الامر واذكر لكم من المستحق لها بعدي » قال عمر : دعوا الرجل فانه ليهجر ، وقيل يهذو .
فاذا بطل تعلقكم بتأويل النصوص فعدتم الى الاجماع ،

وهذا منقوض أيضا ، فإن العباس وأولاده وعلياً وزوجته وأولاده
لم يحضروا حلقة البيعة ، وخالفكم أصحاب السقيفة في مبايعة
الخزرجي ، ودخل محمد بن أبي بكر على أبيه في مرض موته
فقال : يا بني أنت بعك عمر لأوصي له بالخلافة ؟ فقال : يا أبت
أكنت على حقٍ أو باطلٍ ؟ فقال : على حق . فقال : اوص بها
لأولادك ان كان حقاً أولى فقد مكنتها بك لسواك ، ثم خرج
الى علي عليه السلام وجرى ما جرى .

وقوله على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله : « أقيلوني
أقيلوني ولست بخيركم » أفقاله هزلاً أم جداً أم امتحاناً ؟ فإن
كان هزلاً فإن الخلفاء منزهون عن الهزل ، وإن كان جداً فهذا
نقص للخلافة ، وإن قال امتحاناً ونزعنا ما في صدورهم من غل .
فاذا ثبت هذا فقد صارت اجماعاً منهم وشورى بينهم .
هذا الكلام في الصدر الاول ، أما في زمن علي (ع) ومن
نازعه فقد قطع المشرع قولكم في الخلافة بقوله « اذا بويع الخليفةتان
فاقتلوا الآخر منهما » .

والعجب كل العجب من حق واحد كيف ينقسم ضربين
والخلافة ليست بجسم ينقسم ولا بعرض يتفرق ولا بجوهر يحد ،
فكيف توهب او تباع .

وفي حديث أبي حازم : أول حكومة تجري في المعاد بين علي
ومعاوية فيحكم لعلي بالحق والباقون تحت المشيئة •
وقول المشرع لعمار بن ياسر « تقتلك الفئة الباغية » فلا ينبغي
للامام أن يكون باغياً والامامة متضيقة لشخصين ، كما لا يليق
الربوبية لاثنتين •

اما الذين بعدهم طائفة تزعم أن يزيد لم يكن راضياً بقتل
الحسين عليه السلام ، فأضرب لكم مثلاً في ملكين اقتتلا فملك
أحدهما الآخر أفتراه يقتله العسكر على غير اختيار صاحبهما الا
غلطاً ؟ ومثل الحسين عليه السلام لا يحتمل حاله الغلظية لما جرى
من القتل والعطش والسبي وحمل الرأس اجماً من جماهير
المفسرين ، وقتل الأمة المغنّية حيث مدحت علياً في غنائها ، أفتراه
قتلها بغضاً لعلي أم لها •

وقول يزيد بن معاوية لعلي بن الحسين عليه السلام زين
العابدين : أنت ابن الذي قتله الله ؟ فقال : ابن الذي قتله الناس ،
ثم تلا قوله تعالى « ومن قتل مؤمناً متعمداً » افتراك يا يزيد تجعل
جهنم لربك جزاءً وتخلده فيها وتغضب عليه وتلعنه وتعد له
عذاباً اليماً عظيماً •

فان قلت هذه البراهين معطلة لا يحكم بصحتها حاكم الشرع

فنقول : في حججكم مثل ما تقولون •

ثم اجماع الجماهير بشتيم علي عليه السلام على المنابر ألف
شهر أمركم الكتاب به ام السنة أم الرسول ؟ ثم الذين بعدهم
من غيرهم أخذوها نصاً أم سنة أم اجماعاً ؟ لكن قد أخذوها
بسيف أبي مسلم الخراساني •

فانظروا الى قطع اجماعكم بسيف المشرع (ص) حيث قال
لكم « الخلافة بعدي ثلاثون ثم يتولى ملك جبروت » وبقوله
للعباس « يا أبا الاربعين ملوكاً » ولم يقل خليفة والملوك كثير
والخليفة واحد في زمانه •

فيا أيها الطالب للملك حصل الآلة وجسّلت الحالة وابذل
واصبر واجذب واقرب وطوّل واحتمل وصالح حتى تقدر •

فصل

وهو المقالة الخامسة

سياسة الملك مع الجند

إذا أردت ترتيب ملك في الملك فاستهو رجال الدول بعد
تحصيلك المال ثم بايع وذلّق ^(١) بعضاً على بعض للجذب ، فهو
(١) أذلّق فلاناً : اضعفه واقلقه ، والمعنى ضعف بعض رعيتك
بالبعض الآخر حتى تتمكن من جذبهم اليك وجمعهم حولك •

كما قال المتقدمون :

إذا هبت رياحك فاغتتمها فإن لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الاحسان يوماً فما تدري السكون متى يكون
واجعل قواعد المسلكة على الكبار على هيات ترتب الجسور
والقناطر لتجوز عليها الى تناول اغراضك ، فان وجدت مشاركا
فداوه بأنواع المعالجة ، وآخر الدواء الكي .

ثم انظر في دستور عدد الجند وعدد القرايا ومعرفة الدخل
والخرج والنقص والزيادة ، واستغرض الجيش في سنتك ثلاث
مرات ، واجعل طلائعك أربع مائة نفر من امنائك .

وان أردت الغزو فاشبع الخبز ، فاذا وجدت وطفقت الى
مصافٍ فرتب جيشك صفوفاً وراء صفوف ، وخمّر مع اصحابك
ليذلوا السيف في الصف المنهزم من اصحابك ، وكن مشرفاً عليهم
من نشز ولو نصبت اعلامك زوراً من غير حمل ، وادخر لنفسك
أجود الخيل والرجل .

واعلم ان من خامرك في الأول هو مخامرك في الآخر ، وبوقك
معك وبددها ان شئت في العسكر ، واترك لك كميناً من أجود
رجالك ، فاذا وجدت العي في القتال فاستجّر الاعداء الى قريب
الكمين ، وليكن بينكم علامة .

واذا عزمتم على قتال قرنك فاعجل ولا تطل في مكث مكان
لخوف الفشل والمفاسخة ، كما عمل ذو القرنين في عسكر الملك
داراً فأفشلهم ونزلهم وفسخهم وبرطلهم فتعلم •

واعلم وكن بذالاً لا متاجراً ، وانظر في دساتير الدخل فكشّر
ان شئت أو قلل ، وليكن لك عين على معرفة المقاتلين ، وأنعم على
من قاتل واعزل الجبان على الهوينا •

ثم احتسب على خزائنك وخزائنك بمعرفة ما فيها وما تنقص
وما تزداد ، وان لم يك لك بد من التزويج فاستند الى أموال
ورجال ودين وجمال ، وان كان المشرع ندب الى الدين قد قال
ما قال •

واعلم ان الملك بغير جواسيس وأخذ أخبار كالجسد الذي
لا روح له ، وحصل آلات الحصون مما تحتاج اليه في الضيق
فانك لا تدري لعل الله حدث بعد ذلك أمراً ، ولا تتم عن تهئية
الرعية واختلاف الجند ، وامنع الفقهاء عن الكلام في الفتن ،
وأمر نوابك أن ينظروا ما عند الخلق من الاطعمة في المحل ، ولا
تمنع الناس من تحصيل الاطعمة فانه لك وللناس عند الحاجة ،
وانظر فيمن امتنع من الزراعة ان كان لفقر فقوه وان كان لظلم
فانصره كما قال ملك الهند : « اني أفرح لكثرة دجاج البلد فانه

فرع العماراة » واغتنم لكثرة الخطابين خوفاً من ظلم المقاطع .
وقد كان ذو القرنين يحوي دساتير على عدد اناس القرايا
وتسلم عليه المرأة بقدر من لبن ، فان رآه دسماً ضحك لجودة
الربيع ، وكان يقول : أنا أمسك الفلاح اذ لا أجد مثله ومثل
المقطع فأجد معناه انما المقطع بالخبز فان لم يجده انتقل ، والملك
بفلاحه اذ هو خزاوته وبه يسطو ويجنّد وينعم ويطلق وينظر في
الخزائن والامراء .

واذا قدر على تبديل الطعام المتغير بغيره فليفعل ، فقد كان
المأمون يستعرض السلاح والآلات مثل الخيم والمناجيق حتى
قال لأمير دوابه : رتب مخاليك كما ترتب معاليك .

فصل

وهو المقالة السادسة في ترتيب الولاية

لا ترتب في الحصون الا والياً شقيقاً رفيقاً بالخلق ، ولا تكلفه ثقلاً
فيستقصيه من بلدك واشبعه ، وجند الحصن وانظر في مراكز خبره
ومائه وحرسه وسوره ، وبذل حراسك في البروج ، وطف بنفسك
أيها الوالي على اعلا سورك ، ولا تخالط جنلك بالليل خوف
المخامرة ، واسأل عن أعداء الحصن ، ولا تستحقر القليل فان

الذبابة تقتل جملاً ، وكم من عقرب قتل لسعها كما قيل :
ولا تحقرن أمراً صغيراً فربما تموت الأفاعي من سموم العقارب
واحذر من مكر ذوي المحن فقد قيل :

فإن الجرح ينفر بعد حين إذا كان البناء على الفساد
ولا يكن الوالي شريب الخمر وهكذا الأمير ، ولو حضر
في مجلسهم فليحاكمهم في الجلاب ، ففي الخمر آفات وزلازل عقل
وحدوث بلايا واطهار حقود ، اذ صاحب الملك مرموق بالحسد .
قال النجاشي لجعفر بن ابي طالب : كيف سيرة نبيكم في
الأكل مع اصحابه ؟ فقال : يأكل على الارض . فقال : ذلك تواضع
لجلب قلوب أصحابه . فقال النجاشي : لو كان ملكاً لأكل وحده
على خوانه مع اخوانه في جمع معروف له ونوادي مخصوصة .
ثم الرزق ان كان مقطوعاً فمعروف وان كان ذهباً فشهر بشهر ،
ولا بأس بالسلام عليه وهو موصول بهم ومعزول عنهم ، والمعاهدة
لرسل الملك واقامة ناموسه عند الغرباء والمنشدين والقصاص ، وكان
سليمان (ع) يقسم اسبوعه بعضه للجند وبعضه للقضايا وبعضه
لرسل وبعضه للعبادة وتذكار الحكم والنساء ، وكان يقول :
يا أرباب المملكة عليكم بأهل العلم والصلاح فانهم يرشدونكم اذا
ضللتم وعرفونكم اذا جهلتم ويستعطفونكم اذا غضبتم وينفقونكم

إذا حرمتهم •

وقال علي بن ابي طالب عليه السلام :

ولا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه

فكم من جاهل أردى حكيماً حين آخاه

يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه

وللشئ على الشئ مقاييس وأشباه

وللقب على القلب دليل حين يلقاه

وليقل الملك المنادمة والمسامرة ، وليقل من الهزليات

والمضحكات ، وليكن وزيره قابلاً للعلم والصلاح منزلاً للناس

في طبقاتهم ، ولا تنظروا في حسن البزّة مع عموم الجهلة ، فقد

نقل إلينا أن بهلولاً دخل إلى مجلس هارون فجلس في أدنى المجلس

فقال له هارون : ارفع نفسك إلى صدر المجلس • فقال بهلول :

مجلس يفنى فأين صدره ، ثم أنشد :

كن رجلاً وارض بصف النعال لا تطلب الصدر بغير الكمال

فإن تصدرت بلا آلة جعلت ذاك الصدر صف النعال

ومن جلسة فنون الملك أن يختار لنفسه طعاماً يخصه ، وقد

كان المأمون يحب المأمونية ، ومهلب العراق يحب المهلبية ، وقد

كان بنوا أمية يكثرون من أكل الهرايس والزلاية ولم يغسلوا

اللحم بل يكشفون الجلد فيأخذون من تحت الجلد ما يختارون
فتداول الأيدي بذفر اللحم •

وقد روى أبو طالب المكي أن النبي صلى الله عليه وآله قال:
شكوت الى أخي جبرئيل ضعف الوقاع ، فأمرني بأكل الهرايس
فوجدت لظهري بها جبرانا •

وقد كان ذو القرنين يحب اليزرباج ^(١) لتسكينها للخلط
الصفراوي ، وقد وجد بخاراً حاراً تولد للصفراء فانزعج بها حينه ،
فمزج له بالطبخ ماءً او عسلاً وخلاً فشربه فقال : سكن جيني
فسمي بذلك الاسم ، فكان يخلط خشن الدقيق وناعمه فيتخذ له
منه خبزاً • فقال له الحكيم : من خوشك خشكار وأراد الخبز
الخشن للمعدة الضعيفة والخلقة البلغمية أجود واعود وللخبز
السميد ^(٢) زبدة تبيّن في الخفق وهذا مشاهد عياناً •

فصل

وهو المقالة السابعة في ترتيب حاشية الدولة

يستحب للفرّاش أن يكون رشيقة خفيف النفس ظاهر القوة
طيب الريح عارفاً بترتيب الخبز والخضراوات كامل العدة ، وهكذا
تقول في الطباخ والشرابي •

وتكون دار شربه كاملة المشارب من الماء البارد والأشربة

(١) نوع من السكنجيين • (٢) ما يخبز على السماد •

والفقاع ، واما السكنجيين فشربه نافع باذن الله تعالى على الريق
وهو محمض للطعام منفع للجوف .

واعلم ان آداب أهل التصوف في المآكل والمشارب هي آداب
الملوك . ترك ابراهيم بن أدهم كبر الملك وأمسك آداب الطعام .
والبدء بالحوامض اولى والركابية والسعاة خفاف السرعة
شباب ، وهكذا جميع المقاتلين والشيخو للهية والرأي ، ومحظ
العسكر في نشز من العدو اولى للتحصن واغتنام الأهوية والخصول
في الشتاء أجمل والتهيئة لما يختاره في الصيف ، ورحيل السلطان
لقلائل السفر عند زول الشمس في السرطان وسكونه عند نزولها
آخر القوس ، اذ فصول السنة أربعة ، فمن نصف حزيران الى
نصف أيلول صيف ثم الى نصف كانون الاول خريف ثم الى
نصف آذار شتاء ثم الى نصف حزيران ربيع ، وهكذا على أقسام
منازل الشمس والخبر النبوي صلى الله عليه وآله يؤيده اذ اقتصف
الشهور تغيرت الدهور .

فان ركب بعد صلاة العصر والاقعد لكشف المظالم والكتب
وسماع القصص وهو يسعهم في عزلة . كان السابقون من الملوك
اذا قعدوا للسلام يتعدون وراء شباك ويدخل من يشاء اليهم خوف
الاغتيال في المراحمة ، ويفتش عن غوامض ما يجري حتى يكون

له صاحب خبر في البلد يرفع الغث والسمين •

ويستحب أن يطالع كتب الطب والتواريخ وشاهنامة العجم
وقصص السابقين للعجم والديلم مثل ما جرى لشهريار الديلمي
ورستم زاد وكان النبي يومئذ سليمان فارمى الوقائع بينهم حتى
هلك بعضهم ببعض •

وكن مع الملك جحوداً كتوماً لما يجري واحفظه في الحسام
وكثيراً ما هلكوا فيه وحسام داره أجمل ، وعليكم بكتهم مرضه
وموته حتى يستقر الملك فيمن شاء الله من عباده بعد البيعة
والمشايعة وتقرير القواعد •

وكن أيها الملك مسارعاً في الثناء والثواب فانه الذكر المخلد
وأكثر ما تنظر في كتب ابن أبي الدنيا وتواريخ الطبري ومذهب
الشافعي وتحرير القواعد أو من تختار من المذاهب ، ولا تظهر
البدعة ولو كانت فيك ، فالباسيري ^(١) وبنو بويه ^(٢) هلكوا
بمتابعة الأهواء •

(١) الباسيري هو أبو الحرث ارسلان التركي خطب للمستنصر

صاحب مصر ولكن غلب على أمره وقتله طغرل السلجوقي •

(٢) تفانى ملوك بني بويه في حب أهل البيت الطاهر معروف

لا يجهله من عرف سيرتهم ومبدئهم •

وللنعم أجنحة ألا فقصوها بالشكر ، واجعل بينك وبين
الله طريقاً من الصلاح ، فقد حُكي ان ملكاً من المتجبرين قمع
ملك الموت عنانه فقبضه على ما لا يريد ، وان ملكاً صالحاً أتاه
ملك الموت فأسر اليه في اذنه فقال : اني ملك الموت . فقال :
مرحباً بك فأنت أطيب القادمين وخير النازلين وأحب المنتظرين
فافعل ما امرت به . فقال ملك الموت : لا اقبضك الا على ما تختار
فتوضاً وسجد فقبضه على سجوده .

ومن لطايف الحكايات الملكية ان محمود بن بويه لما ملك
أرض العراق اعطى ألف دينار لفراش له وقال له : اذهب الى مدينة
اصفهان الى شارع السلطان ، ففي صدر الدرب بيت فيه شيخ
وعجوزاً دخل اليهما فسلم عليهما وقل لهما ابنكما يقول لكما :
كيف أتتما من وحشة فراقه ؟ فلما وصل اليهما وأخبرهما قالوا له :
خذ ما جئت به لك . فقال الغلام : أتتما فقراء وبكما حاجة اليه .
فقال الشيخ : غنى النفوس باقية ، ثم تنفس وتمثل بهذا البيت :
لا تزدريني وتزدريني خلفي فانما الدر داخل الصدف
وللشافعي في مثل هذا شعر :

عليّ ثياب لو تباع جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثر
وفيهن نفس لو تقاس ببعضها نفوس الوري كانت أجل وأكبر

وغيره :

وما ضر فصل السيف أخلاق غمده

إذا كان قصباً حيث وجهته فري

ويستحب أن يكون المسمع للملك مغنياً ندي الصوت شجياً

لا خارجاً ولا لحافاً عالماً بالأصوات ثقلها وخفيفها وهزجها ورملمها

وصوفيها وأصواتها الثقال مثل قول أبي الشيص :

أجد الملامة في هواك لذيدةً حباً لذكرك فليلمني اللوم

ومثل قول أبي نؤاس في الوزن :

شرك النفوس وعصمة ما مثلها للمطمئن وعقلة المستوقر

إن طال لم تمل وان هي أوجزت ود المحدث أنه لم توجر

وفي المستهل والعمل شعر علي بن عامر مجنون ليلى :

خليلي قوما في عطالة فانظرا انار ترى من أرض ابرق أم برقاً

فإن تك ناراً فهي حب بملتقى من الريح تذروها وتصفقها صفقا

وان يك برقاً فهو من مشمخرة تغادر ماء لا قليلاً ولا رتقا

لأهم عدي أوقدتها طماعة لاوبة سفر أن يكون لهم وفقاً

وحطابها رحلى قليلاً فانها لأول اطلال عرفت بها العشقا

وليكن المغني عالماً بطرق الأغاني مطلعاً على كتب الموسيقى

الموضوع للرئيس أبي علي سيناء ، وقد شرحناه في كتاب السلسيل

لأبناء السبيل وسأذكر لك نكتة عنه فأقول كما قيل : ان لدورات
الافلاك أصواتاً لو سمعها عاقل او لبيب لما ثبت ومنها أخذ موسى
ترجيعات النعمات من المربع والمسدس والمثنى ، وهو المرجع ذو
الزوايا بطريق التلحين • ومنه أخذ زردشت بني المجوس الزمزمة
والنصارى عملوا ببعضه ، فالالخان للروم ، والتجنيس للعراق ،
والزقاق للعجم ، والطبول للزنج والحبشة ، والبوق لليهود وهو
سبعون دستانا مثل دستان^(١) الرحيل تقول في وزنه :

اركب فانت المظفر اركب فالله أكبر

ودستان الحروب والنزول وغيره ، وقد قال سقراط : اشتباك
نعمات الأصوات من هياكل العبادات يحل ما يعتقد في الأفلاك
الدائرات مثل همّة اصابة العين والسحر والاستسقاء وسنذكرها في
موضعها •

وكن مع الملك كما قال بعض الحكماء :

إذا خدمت الملوك فالبس من التوقي أشد ملبس
وادخل إذا ما دخلت أعمى واخرج إذا ما خرجت أخرس

(١) دستان ج دساتين اوتار العود (الاغاني) •

فصل

وهو المقالة الثامنة

في ترتيب الحجاب والوزراء والكتاب

يقعد الوزير في دسسته ، وحاجبه على رأسه فلا يلاصقه أحد في المنصة ، وكتابه لديه ، والمجلس ملآن هيبة ووقاراً ، والحوائج الى الحاجب والتوقيع الى الكتاب والاطلاع للوزير ورفع الامور للملك .

فأول ما يبدأ بمصالح المحاسبة بعد الملك هو الوزير حتى الى التقليد ، وقيل لا يحضر الملك الجمعة الا في مكان معزول في مقصورة له خاصة ، وأصحابه في دائرة المقصورة من خارج والباب مغلق وعنده من يركن اليه ، ويخرج هو وأصحابه في آخر الناس في باب له .

وليكن له يومان في الاسبوع للختم والزيارة ، وقعود العالم على طبقاتهم ثم يبدأ بقراءة الربعة (٢) بعد الصبح ، فلا يستعجلون حتى تفرغ الأجزاء ، ثم يقرأ قرءاء النوبة فاذا فرغوا وعظ الواعظ وأنشد المنشد ، ثم يقرأون « قل هو الله أحد » والمعوذتين والفاتحة

(٢) الربعة احزاب القرآن الكريم .

والم^(٣) الى « مفلحون » ، ثم يختم الامام بتصديقه خفيفة ويدعو للملك والمسلمين .

وليكن للملك في الاسبوع يوم خلوة عبادة وتذكار والنظر في الحساب والأموال والنظر في دساتير البلاد .

فصل

المقالة التاسعة

في ترتيب الخباز والطباخ والقصاب

لا يكون القصاب عدواً في الدين فانه لا يتخرج من النجاسة ، وهكذا الخباز والطباخ ، ويفتقد المعاجن وآلات الطبخ في الدقيق واللحم ولا يلعب باللحم لكثرة استمرار اليد .

وليكن الطباخ عالماً بصناعته وعنده كتب الطبائخ الكشاجم^(١) الأشربة والأدهان والحلاوات والريح الطيب والألوان الغربية ، فاكثار المحصور من الدجاج والطيائر يخشى على كبده وعلى أطرافه

(٣) أوائل سورة البقرة .

(١) هو محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك شاعر أديب لغوي امامي المذهب حسن العقيدة وجده السندي هو الذي سجن الامام موسى بن جعفر عليه السلام بأمر الرشيد .

من النقرس (٢) وكثرة مواظبة لبس الصناعات •

وأحسن المأكّل وأطيبها وأنفعها وأقواها للعافية هو لحم
مرضوض مقلوب مرشوش بالمياه الحامضة يحشى به العجين فيغلى
وأطيب الحلاوات ما كثر خبزه ، وأنفع الهرائس لمن به حرارة
المزاج هو اللون النوي من البرزة يقلى ، وقد هجرت الألوان
الطريفة باستيلاء الترك واتخاذهم البستق والفراش والنواله
والططساج والسكر بورك والبورك المعمول من اللحم والحوائج
الحادة المعمولة في العجين •

فاذا كنت ذا فنون في طلب الطبائع فاطلب كتبها ، وقد ذكرنا
طرفاً منها في آخر كتاب السلسيل •

واذا أردت الامور العقلية فعليك بكتابتنا المقاصد وكتاب
النجاة للرئيس ، وان شئت فيه الغاية القصوى فعليك بكتاب الشفاء
واطلع على الكتب الاصولية الدينية خاصة كتب شيخنا امام الحرمين
من مثل المحيط والارشاد ، ومن كتبنا النافعة في ذلك كتاب
الاقتصاد في علم الاعتقاد وكتاب قواعد العقائد من اول كتاب
الاحياء والرسالة القدسية •

واذا أردت الطب فكثير وأنفعها ما عمل به من جميع الكتب •

(٢) داء معروف وقيل ورم يحدث في مفاصل القدم •

وامطلع على العلوم الشرعية لتعلم الخلل من المفتي وأرباب
الهوى ، ثم ترجع الى تحرير مقامات العمال .
لا تستخدم في العمالة الا عارفاً بفنون الحساب والجبر
والمقابلة والمساحة ، بحيث لو قيل : ما تقول في أرض ذات زوايا
لا تقدر على حفظها بخيط ولا قصب ؟ فإن قال تذرع بالذراع
والشبر (فليس له أهلية العمالة) ، ويمتحن في معرفة علوم الحساب
كما يمتحن الكتاب في الرسائل والاجوبة وكتب الدساتير ، فإن
ولعت برسالة صاحب بن عباد وأبي اسحاق الصابي فلا بأس
بأخذ الزيد .

وليكن صاحب الانشاء كثير الفضل والتوقف في الديوان
في الزمان القصير الى الظهر وفي الزمان الطويل الى النزول من
الركوب ، ثم يحاسبهم على ما اليهم ويستوعب من وكلاء القرايا
وليسأل عن المظالم ، ولا يكون ملولاً ولا ضجوراً ولا صخاباً (١)
ولا طياشاً (٢) ولا لعباً .

وقالوا يجوز له لعب الشطرنج ولا يلعب بالنرد لأنه يخرق
الحرمة بالقمار ، فقد ذكر أن أردشير لما أخرج النرد قيل له ما

(١) صخب الرجل وتصاخب صاح عالياً .

(٢) الطياش من لا يقصد وجهاً واحداً لخفة عقله .

يستحق له الا قطع اليد فقال سأقطعها بتركه • كما قيل للحجاج ابن يوسف وقد شكى من أكل التراب : « الق عليه من همتك وعزيمتك » فلم يأكله بعدها أبداً •

واعلم أيها الملك أن علو الهمة مع الصبر على الخدمة حتى في التصوف واختلافه في الثمر كل ذلك بالهمة والخدمة ، ألا ترى قول أمير المؤمنين علي عليه السلام :

يقدر الكسب يكتسب المعالي	ومن طلب العلى سهر الليالي
تروم العزّة ثم تنام ليلاً	يعوص البحر من طلب اللّثالي
النقل الصخر من قلل الجبال	أحب اليّ من ممن الرجال
وقالوا للفتى في الكسب عار	فقلت العار في ذل السؤال
إذا عاش امر " ستين عاماً	فنصف العمر تمحقه الليالي
ونصف النصف يمضي ليس يدري	تقضى في يمين أو شمال
وربع العمر أمراض وشيب	وشغل بالتفكر والعيال
فحب المرء طول العمر قبح	وقسمته على هذا المثال

المقالة العاشرة استعداد الملك لمقاومة العدو

اعلم أيها الملك اذا أردت معاندة ملك فاعتبر جيشك وخلّصه من المواطاة والنفاق ، ثم زن مالك فان قدرت على مشابكتة فلا

تبدأه بالغبي وقلده ذلك وافتح له أبواباً من حبه ، وان خفته ولا طاقة لك به فمل الى مصالحته ، فالزمان يدور مثل الكواكب .

وحب من قدرت من اصحابه ولو برشوة ، وفاسخهم والق بينهم وكاتب بعضهم على السنة بعض ، وان خفت أحداً في دولتك فداهن وسلم وتواضع فربما تجد الأمل ، واذا كثر الزمان فاصبر لعضه فلا بد أن ييسم لك ، وان عزمت على حصار مكان فأوقع الخلاف في الحصن .

كتب سليمان (ع) الى رستم زال ^(١) . « اما بعد فاني لأخشى عليك من مخامرة اصحابك الذين معك فربما يسلمونك لاعدائك » . ثم كتب الى كبار اصحاب رستم : « خافوا على انفسكم ، وهذا خطه الي في اغتيالكم وقد زعم انكم نافقتموه ، فان سلم حصنه الى شهريار فلا تكون الدائرة الا عليكم » .

فلما قام القتال بينهما فروا جميعاً الى شهريار وأمن سليمان عليه السلام عليهما بعد الكسر ، وشهم بأصحابه فقتل رستم وقبض على شهريار وأمر السيف على الفتيين ، فأصابهم مثل نوبة بني اسرائيل مع بخت نصر ، فجعل النساء — على ما قيل — قحاً للمارة وللمبارزة ثم سخر على ذلك البلد وأقطعه للذين لا خبر لهم .

(١) من شجعان الفرس المشهورين وأبطالهم ما قبل التاريخ .

ولا تنبئهم فستضعف نفسك بنفسك ، فتكون كالذي طابت
له حلاوة العسل فعمد الى اخاب كوارير النحل ، فتكون اشقى
الثلاثة : يروح المظلوم بالشواب ، والظالم بالانتهاج ، وتظفر أنت
بمرارة الحساب ومتى تعمر الخراب يا غراب .

ثم تكتب الى أهل الحصن ولو في نشابة « من أراد خيره
فلينزّل إلينا » فإذا قدر لك بالحصار فليكن في حزيران ، واحفظ
البلد في المقطعين من السياسة واللائذين بالدواب ، وليكن لك
في كل قرية علامة ، وعاقب المخالف بأنواع ما تريد ما لم تجاوز
النصفة ، وسلّ المشر في ثم انصب الأحراس ، وانزع الثياب
وصواني فيها ذهب ، وفرق القتال في جنبات الحصن ، وامنع
خروجهم ودخولهم خوف الاغتيال .

وقد كان رسول الله (ص) في عام خير مكّتهم الخروج ،
وكان لهم جوع حتى أطعمهم وخرج الأكثر منهم ثم منعهم من
الدخول ، فإن اتفق لهم جهة أخرى تركهم على الحصن مقطعين
القرى مع طائفةٍ من خواصه .

فإن افتقرت الى ثقبٍ وزرق ومنجنيق فافعل وارهب وزعزع
وقعع ، وليكن باطنك على أهل السواد سليماً .

المقالة الحادية عشرة في آداب سفر الملوك

افتقد آلات سفرك قبل خروجك ، وناد في عسكريك بالاعلام قبل الخروج بمدة ، واترك بعدك من يتفقد الناس ، وليكن عندك صناع فيما تحتاج اليه ، وليكن سوق عسكريك آمناً تحفظه بالتعليق في السياسة ، وليكن وزيرك عالماً بكتب أرباب السياسات (مثل الممالك والمسالك) وسياسات المعري التي أودعها الرئيس في آخر كتابه المسمى بالأدوية القلبية وكتاب قوانين الملوك لابن قرة ، وتقتني مثل كتب البيزرة الكشاجم وكتب البيطرة لابن قتيبة وكنهل الرومي ، فهذه تحتوي على أصناف البزاة وأدويتها ودائها وهذا يجري على ذكر أصناف الدواب وأصناف الخيول ستون صنفاً .

وكان الاسكندر ينظر الدابة فيعرف مرضها ، وهذا هو الطب الأصعب ، اذ لا يمكن فيه من المسائلة ، وكان يقف في شباك له أو خيمة مشرفة على الدواب وعلقها ، وقيل له : اتبأشر هذا الأمر بنفسك ؟ فقال : لأنها لنفسى . وامغص له فرس فسقاه ماء الاثنان مبرّد فبرىء .

ومن جملة الخواص تمشيتها على قبور أهل الذمة ، فقد سئل

رسول الله (ص) عن ذلك فقال : تسمع عن قبور أهل الذمة صعقات الانتقام وصراخهم من تحت العذاب فتفرع فتشفى •

وهذه الخواص كثيرة من الحيوان والنبات والجماد ، وقد ذكرنا شيئاً منها في فصول هذا الكتاب • وقد روى أبو هريرة قال : لما فتح عمر مدينة القدس وأمر فيها عبدالله بن مسعود فأتيته مهاجراً إليها فدخلت عليه فلم أر له حاجباً ولا بواباً ، فسألته عن ذلك ؟ فقال : سيطئوها عثمان ثم تسمعون بمنزلها ، ثم رأيته ينقي شعير فرسه بيده فقلت له في ذلك فقال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : « من افتقد قضيم دابته وتقائه كان له بكل حبة عشر حسنات » افتراني اعطي هذا الثواب لغيري ، افتقد نفسك ما ينجيك هو خير لك من كبرك الذي يطعيك •

ومثل هذا نقل عن أبي حازم قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز فأخذ المصباح ينظفي ، فقلت : أما ابنه غلامك ؟ فقال : لا فقلت : أقوم أنا ؟ فقال : لا • ثم قام عمر وأصلحه ثم قعد وهو يقول : قمت وأنا عمر وقعدت وأنا عمر ، قبحاً لوجه المتكبرين • ثم أنشد :

إذا عظم الإنسان زاد تواضعاً وإن لؤم الإنسان زاد ترفعاً
كذا الغصن إن تقوى الشمار تناله وإن يعر عن حمل الشمار ترفعا

المقالة الثانية عشرة في صفة نوم الملك

أيها الملك إذا كنت في سفر وصحبت فوجا أو حرسا حادا أو مشاغل
كن متيقظا بنفسك واشبع في النهار واسهر في الليل بالمنادمة
والقصص والسير وتدير الاشغال ، وإن كان في الحضر فشُد
حراسة الباب والسُّور ، وليكن البواب من جملة البراني ، ونم
وحدك في مقصورة لطيفة واجعل أهلك خارجها والمفتاح عندك ، فإن
استدعت نفسك بعض جواريك فلا تستدع الباردة الثقيلة فمعاشرة
الوحش الخفيف خير من الحسن الثقيل .

قيل لجعفر الصادق عليه السلام لم تختار السود على البيض؟
فقال : مصيِّف ومشتي واخوة شتى ، وقال أطيّب الجماع أفحشه .
وقد شكّا بعض الملوك من قلة الانعاز وكان يخاف الأدوية
الحارة ، فاتخذوا له كتاب الباه بطريق الحكايات فعلت فلانة وفعل
بفلانة ، كما قال الحجاج :

ما كرهن النساء للشيب الا انه مؤذن بنوم الذكور

وانظر البيت الذي في القصيدة اليتيمة :

ولها هنّ "رابّ مجشمه ضيق المسالك حره وقد"

فاذا طعنت طعنت في لبدٍ واذا جذبت يكاد ينسد

واختلفت جارتان عند المأمون سوداء وبيضاء، فقالت البيضاء
الثلج يصلح للدواء، وبياض الشمس عجب، وخير الثياب البيض
والبيض أشبه من الفحم • فقالت السوداء: غبر أشهب وعود
القمارى يتعاطى عند العناق لذيداً، وفحم الشتاء خير من كما (١)
الصيف الباردة، وعيب الشديد شديد، والبياض في العين عى
وليلة القدر خير من ألف شهر، وسواد الشباب تطلبه الغانيات حقاً
عجولاً، وسواد قباب بني العباس أهيب، وعندنا مجامر الشتاء
بساتين الصيف، ثم أنشدت:

أحب لحبها السود أن حتى أحب لحبها سود الكلاب
وهو لكثير عزة •

وحكى لي من أثق به أن المنصور أغرى بقتل العلويين حتى
نفر أكثرهم الى اليمن، فلما وصلت النوبة الى المأمون — وكان
يتوالى محبة أهل البيت — فسأل عن بقى من أشرف الفاطميين
فأخبروه عن قوم منهم بأرض اليمن، فنفذ اليهم ليستعطفهم،
فأجمعوا رأيهم على أن كل واحد منهم يبعث شخصاً يشبه به من
وكيله أو غلامه، فان كان خيراً فما يضر وإن كانت الأخرى فلوهم
الأسوة من السادات، فلما وصلوا الى المأمون أكرمهم وأعطاهم

(١) الواحدة كماء نبتة برية تحت الارض •

وتزوجوا وتوطنوا ، فاذا وجدت شريفاً مقبحاً غير ذكي ولا زكي فهو منهم ، أذ هذا البيت المعظم لا تتسلط الفحشاء على منازلهم ، وهو معنى قوله (ع) « نحن أهل بيت طاهر لا تفجر ولا يفجر بنا »

المقالة الثالثة عشرة

وفيه اناموس الاعظم وكشف الحقائق

اعقد على نفسك من كتاب عقد الدور لابن شريح ، وقد كنت لا اقول به ، وجماعة من أصحابنا يقولون به ، وكل مسألة خلاف اذا حكم الحاكم بصحتها زال خلافها .

وتشترط في نسخة اليمين معاني تأول منها الى الفسخ بالتأويل واليمين على نية المستخلف .

واحترز في عقد الوكيل وأعم الالفاظ كلها اطلاق عليك طلاق وكيلي فأنت طالق قبله ثلاثاً .

ولا تمنع أيها الملك قول الحكماء والفتاوى بها ، واذا اخترتها فليكن باطناً وخطوط الشهود والحاكم عندك ، وان ادعى فيه فسلم اليه ، ولا تسلم الى العامي عنايته فهو جهول باليمين والعناية .

واحذر اليمين بكل ما يتعلق بالله وبكلماته وصفاته ، واختلف العلماء فيما له حرمة غير هذا .

واما اليمين الغموس فانها تذر الديار بلاقع ، وذلك ان يحلف

على ما يعلم كذبه •

واقعد ايها الملك قعود المتأدبين ، وكن قليل الكلام ، اذ لا يصلح الكلام الكثير للملك ولا للزاهد ، وقد يحصل اظهار الفوائد للعلماء بالكلام ، ولا تخطيء المفتين ولكن قابل بعضهم ببعض ، وقد سمعت ما قال عليه السلام : استفت نفسك وان أفتوك فالحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابها فذر ما يريبك الى ما لا يريبك •

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : من جعل الحلال له قوتاً اجبت دعوته ، وعملت مروته ، وحسنت سريره ، وعلت كلمته ، وحصلت امنيته ، وطابت منيته ، وطهرت ذريته ، وتنورت نطقته ورقت دمعته ، وظهرت حكمته ، وقلَّ غضبه ، ورق قلبه ، وخف ذنبه •
وقال (ص) : يا علي رد درهم مظلمة أفضل عند الله من أربعة آلاف حجة مقبولة ، يا علي من غضب غضب عليه ، ومن ظلم ظلم ، ومن أكثر من الصدقة نصر في ذريته •

والسر في الحرام هو ان معاد النفوس واحد ومرجعها اليه بعد القبض ، فاذا ظلم بعضها سرى الظلم في كلها ، وهو معنى قوله تعالى « من قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » •

واذا اوصلت الى النفوس براً أو صدقة وخيراً وعدلاً وإشفاقاً
سرى ذلك الى جميع النفوس بعد القبض فصار خيراً ، فاذا وصل
بهم كان ذلك خيراً للجميع ، ألا ترى الى قول الرجل لامرأته
« بعضك طالق » كيف يسري الطلاق في الكل ، اذ الطلاق
لا يتبعض .

وليكن لك أيها الملك امام يؤم بك ، وليكن عالماً ديناً يعرف
بذلك ، وليكن شيخاً أو أعمى .
وعلم مسالكك خطأ ورموزاً ، فان اتفق ان يكون المعلم خادماً
أو شيخاً فأولى ، وللنساء امرأة دينية .

واعلم أيها الملك ان أهل الزمان فاسدون لتشاغل الرجال
بالرجال والنساء بالنساء ، وهو أعظم المقت والسخط ، ومنه
حصلت الاباحة لبعض الطوائف حتى بسطوا فيه وأقاموا لهم شبهاً
فيه ثقيلة وعقلية .

(اما النقلية) قوله تعالى : « هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعاً » قالوا : هكذا كان الناس على منهج القديم ليس تحليل
ولا تحریم ، ولكن الأنبياء حللوا أشياء وحرّموا أشياء . وقال
تعالى : « وويل للمشرّكين الذين لا يؤتّون الزكاة » وقد تعلقوا
باباحة أبي بكر لأموال بني حنيفة .

وزعموا ان الخطاب من الرسل إما ان يكون لموجود او لمعدوم
فالمعدوم لا يخاطب والموجود هو المخاطب في زمانهم فقد درج
معهم ، فمن هذه الشبهة تمسك أرباب الاباحة — مثل البصرية
وغيرهم — وسنذكر تعليقاتهم في أماكنها •

وقد عرفتكم أيها الملك طريقتك النفيسة مثل لبس النظيف
والطيب وقلة الكلام ، واذكر جميع الكلام بطريق الاختصار ،
وأدب أصحابك أن لا يشكوا منهم قريب أو بعيد ، مثل قول
الحكماء ثلاثة ان لم تظلمهم ظلوك : ولدك، وزوجتك ، والمملوك •
واياك وقرب المملوك، فان قربوك فتنوك وان أبعدوك احزنوك •
هذه وصايا المملوك ، فان هممت بتحصيله فربما غاوتك يد
السعادة واذا أراد الله شيئاً هيأ أسبابه وحرك القضا بتحريك السبب،
وقد كان الله قادراً على تحصيل الرطب لمريم من غير هز ، كما
قال في النظم البديع :

ألم ترَ ان الله قال لمريم

وهزي اليك الجذع تساقط الرطب

ولو شاء اجنى الجذع من غير هزها

ولكننا الاشياء تجري لها سبب

فان وقع لك صباغ الحجرين من الاحمر والابيض فحصله

ولكن ذلك عنك بعيد ، وبالهمة يفتح عليك بعض هذا الطريق ،
فان قلت لا يكون فان جاز ان كان فيجوز أن يكون ، أما سمعت
في رموز امير المؤمنين (ع) : « ان في زييق الرجراج مع الشب
المصعّد لئلا هيئاً ، فذو والهم القصيرة يقصرونك عن نيل مقصدك
والا فمن طلب وجدّ وجدّ » .

ولهذا مثل وهو ان بعض المتصوفة سمع هذا الحديث فقال :
سأجرب نفسي في طلب المملكة ، وكان فيه آلة من علم وأدب ،
وكان محلاً قابلاً للملك ، فوثب للفراشين فخدم معهم وفشا أمره
في السيرة الحميدة ، ثم مات مهتارهم ^(١) فصار مكانه ، ثم عبث
بالديوان حتى انتقل الى مكان رئيسهم ، فلما انتشر شكره وذاع
خبره وذكره قبض الوزير ورتب مكانه ، فساس الرعية وأظهر العدل
وغلق أبواب الظلم واستراح الناس من ثقل ما كانوا فيه حتى مات
الملك ، فتصور مكانه وتزوج بابنته .

فاجتهد في التدريج والتطويل وحصل وكن على عزم وعزيمة
وتحصل فضل آلات الملك ، فها نحن قد صدقناك وعرفناك .

(١) المهتار لغة في المهردار وهو عند أرباب السياسة حافظ
مهر الوزير أي ختمه والكلمة معربة .

وقد شاهدت قصة (٢) ابن صَبَّاح ، اذ تزهد تحت حصن (الموت) وكان أهل الحصن يشتهون أن يطالع عليهم فلم يفعل وهو يحصل المریدین ويعلمهم طريق الارادة والتلمذة وشيئا من الجدل ، ثم جعل يهذر بكلام على قدر عقولهم ، من جملة ما يقول في قائل « لا اله الا الله » هل هو محق أو غير محق فان قلت محق فيلزمك باليهود والنصارى وان قلت انه غير محق قالوا فلم يتعلق بها ثم جذب الناس وجعل يقول للمريدين : اما ترون الناس كيف قد تركوا الشريعة •

فلما اكثروا العدد خرج اليهم بطريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فصبا اليه خلق عظيم وخرج صاحب القلعة الى الصيد والتلمذة أكثرهم أهل القلعة ، ففتحوا الحصن ودخله وقتل الملك في الصيد وفشا أمره ومذهبه حتى صنت في ردهم كتاب قواصم الباطنية ومنتظرهم ، فلا بد في آخر الزمان ان يهجروا الشرائع ويبيحوا المحرمات •

فانظر هذا الطرف الذي شرعنا لك أيها الملك وجعلناها لك اشارة وسليماً تنال بها مقاصدك ، وقد كان عمر بن الخطاب أمر

(٢) الحسن بن محمد الصباح داعي الاسماعيلية في القرن الخامس •

الحطيئة^(١) ان يجمع حديث عبس وذبيان • ولا بأس بجمع هذه الكتب حتى تتولى ميزان النخوة ، فهذه باع همتك الى اسنا طلبتك واقصاه واعلاه ، وقصص الانبياء تكفيك ان عقلت صبر الأنبياء على نيل المقاصد مع الأعداء حتى فازوا بالنيل •

وقد سمعت حديث داود بن ابشا والد سليمان (ع) وكان صبياً ، فلما حاول عضدته يد السعادة بقتل جالوت حتى تزوج بنت طالوت رياغا •

هكذا سير الملوك ، وانظر في كتاب اسباب يد العارف لابن قتيبة ، ودع عنك النظر في السفر وانظر الشاعر كيف يقول :
لا تأمن اذا ما كنت ذا أدبٍ مع الخمول بأن ترقى الى الفلك
بينما ترى ذهب الابريز مطرحة

في الارض اذ صار اكليلا على الملك
ألا ترى الحيوان المبهم كيف بالضرب والادب يتعلم الرقص
والتطير •

(١) الحطيئة جبرول بن اوس مخضرمي أدرك الجاهلية والاسلام كان شاعراً هجاءً ولأجله حبسه عمر في أيامه توفي سنة ٣٠ هـ •

ولما مات هارون استخلف الامين ونقر المأمون الى مدينة
أصبهان ومعه الحسن بن سهل ، وكان المأمون ذا فنون وعلوم
وآداب ، فقعده في مسجد الجامع وقد فرش به بالبد (١) زهراً
والناس يهرعون اليه لتعلم العلوم ، وابن سهل يوميء الى الطوائف
ويقول لهم : أليس هذا هو الخليفة حقاً فبايعوه ، ويقول لهم :
سنة هذا هي سنة الأولين الطاهرين . فلم يزل يستدرج الناس
حتى حوى عسكره ثمانين ألفاً ، وكانت الأعاجم تسمع بطريق
الأمين الفاسد ففروا وطلبوا المأمون حتى عقد الجيوش لطاهر بن
الحسين فدخل على الأمين فقتله واستولى المأمون .
فكم من هذه السيئر المنقولة ، وانما نسمعك بعضها تقوية
واعانة لهمتك .

وأولع بكتب الأولين مثل كيلة ودمنة والمغازي وحديث
عبد الوهاب ، (٢) ولا يلزمك من سقمها وصحتها . قال الشافعي
« مسقط الرأس مسقط الاسنان » .

وكن وفي العهد والكلام ، وليكن لك محتسب يحتسب
عليك من دارك ثم للمسلمين ، ثم تنظر في مشاريع البلد ومصالحة

(١) البلد الصوف

(٢) هو أحد الحفاظ عند أهل السنة .

الأسعار ، وإن كان قد نهى عن التسعير لكنه ليس به بأس ، فقد فسد الناس وقلَّت الأمانات كما قد ذكر في كتب الملاحم لرسول الله صلى الله عليه وآله وخطبة البيان فيما يتجدد ويكون .

وللسعادة مبادئ وتناهي ، وقد نقل أن الله تعالى لما بعث نبيه موسى (ع) قيل لأفلاطون إن تلميذك موسى يخاطب علة العلل ، فأمر باحضاره فلما وقف موسى بين يديه قال له : يا بني تزعم أنك تخاطب علة العلل ؟ قال : نعم . فقال : فهم قلت هذا ؟ قال : بسهم السعادة . فقال : من أي جهاتك تسمع كلامه ؟ فقال : من جهاتي الستة . فقال : إن لكل نبي معجزاً فما معجزتك ؟ فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبین ، فقال بعض الحسدة من الحاضرين : إن عصا سرانديب إذا نقلت إلى هذه البلاد تكوِّنت حيات . فقال له موسى : خذها إليك فإن كان كما تقول فستكون والا فتبطل . فبهت الرجل وبطل ، فقال أفلاطون : اتبعوه فإنه قد جاء بخرق العادات والسعادات الكلية من الفيض الأول ، ثم يفيض بطريق التجري إلى كل محل بما يقبله ، والفيض الأول من العلة الأولى يتناسى بطريق الفيض الوهمي الذي عجزت العقول عن تحصيل كنهه ، والذي صدر عن علة العلل من الفيض الأول هو العقل الفعال الصادر بالكلية عنه ، والنفس الكلية هي التي تفيض النفوس

عنها ، والذي يتجلى للخلق من العقل هو بقدر نزول الشعاع
للشمس في النوافذ والدور •

ومثل تجلي العقل للأنبياء كمثل الشمس المحترقة في الأرض
القلاة ، وهي معنى قوله (ع) « خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش
عليهم رشاً من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن لم
يصبه فظللمات بعضها فوق بعض » وهو معنى قوله تعالى « الم
نشرح لك صدرك » وقوله تعالى « أفمن شرح الله صدره للإسلام
فهو على نورٍ من ربه » •

وهو النور الذي تجلى لابراهيم (ع) ، كان في بدو أشعته
شاهد من نوره بقدر الكواكب ، فلما تجلى لابراهيم (ع) تقوى
جناح همتة بطريق المجاهدة وانخرقت له الأنوار القدسية من روية
حاله وباطنه وسره وشاهد القمر والشمس ، فلما صفت العلة
خلصت الخلقة ، وشاهد بمقياس الخط أصل العلة الأولى التي فيها
فيض السعادة والحظ ، فقال بسهم السعادة « وجهت وجهي للذي
فطر السموات والأرض » فلما وجد انخراق النور الالهي لم يلتفت
الى مال ولا ولد ، فنبهت يد الافتقار له وولده بجعل ذلك غرامة
بطريق التصوف لوجود حاله ، فقال في رفض تقصه عند وجود
حقه رؤية الكمال : خذ جسدي للنيران ، وولدي للقربان ، ومالي

• للضيفان •

فكن أيها الملك على هذه الطريقة والوتيرة حتى ينكشف لك سر الباطن من منتهى الحق ، فتقعد على كرسي طبِّ احوال العالمين ، فتحس بمقياس الفراسة طريق معرفة الظالم والمظلوم •

واعلم ان القنايا ^(١) والاموال هي مدبّخرة لتحصيل المسلكة الدنيوية والأخروية ، فاذا صح لك هذا الطريق غلبت بسهم السعادة من عصاك ومنه يحصل لك تسخير الهمم العلوية ، ولا يراد الخلق الا للشواب والثناء والا فما هي الا ارواح سائرة عن أجساد خالية . وقد ورد في لطائف الحكايات ان الملائكة قال بعضهم لبعض اتخذ ربنا من نطفة ردية خليلاً وقد أعطاه ملكاً عظيماً جزيلاً ، فأوحى الله الى الملائكة اعمدوا على أزهدكم ورئيسكم ، فوقع الاتفاق على جبرئيل وميكائيل فنزلا الى ابراهيم في يوم جمع غنمه عند راية للحلب ، وكان لابراهيم أربعة آلاف كلب في عنق كل كلب طوق من ورق ومن ذهب أحمر وأربعون ألف غنمة حلابة وما شاء الله من الخيل والجمال ، فوقف الملكان في طرفي الجمع فقال أحدهما بلذاذة صوتٍ « سُبُوح قدوس » فجأوبه الثاني « ربُّ الملائكة والروح » فقال أعيداها فلكما نصف مالي ، ثم

(١) ما يقتنى من المال •

قال أعيذاها ولكما مالي وولدي وجسدي، فنادت ملائكة السموات
هذا هو الكريم هذا هو الكريم ، فسمعوا منادياً من العرش يقول:
الخليل موافق لخليله •

وكن أيها الملك غير مبال لوجود المال وعدمه اذا سلمت لك
نفس رياستك وقلة مملكتك ، واتذكر حكاية الكرم في مواضعها
من كتاب السلسيل وكتاب احياء علوم الدين ، واذا أردت اقتفاء
آثار السابقين فقد ذكر في كتاب فتوح سيف الدين الكوفي ان أهل
الشام لما ثقلهم الحصار قالوا لا نسلم البلاد الا لأمير المؤمنين
عمر ، فلما علم ذلك حصل فرساً وحماراً فقال له كبار أهل المدينة
المملكة بناموسها ، فأجابهم ان المملكة يعطيها صاحب السماء فصفوا
خواطرهم وعلوا هممكم لتبصروا السعادة بمقاييس الأنوار وراء
الأفلاك ، ثم سار الى الشام فاتفق له بأن وقع به الحمار في غدير
ماء متغير وحماء فابتلت مرقعته وكانت نوبته ، فعرضوا عليه
ركوب الفرس فأبى فقالوا : قد اقبلت العساكر والرهايين لتسلم
عليك فغير ما عليك ، فلم يلتفت حتى أقبل عليه جملة الشاميين
بنواميسهم وقعا قعهم^(١) ، فلما رأوه في تلك الحالة فقالوا : ءأنت
عمر ولك نسلم ولك نطيع وندين كما قال لنا المسيح اذا وصلكم

(١) التقاعق الكثير الصوت •

صاحب المرقعة المبلولة بالماء والطين الرابي فسلموا اليه ، فهذا
خبر سر معارف رسول الله (ص) كيف صفى ووفى فعرّفه سر ما
كان ويكون .

ومن تلك الانوار اعتصر الناس ملاحم رسول الله (ص)
من قمر النبوة الذي هو أخوه وشريكه في نوره اعتصرو كتباً مثل
الجفر والجامعة، وكتاب خطبة البيان التي هي حاوية على أكثر ما يكون
في آخر الزمان . وان طلب أحد الهدنة فهادنه ان كان مسلماً ،
وان كان كافراً وقدرت عليه فلا تهدن كيلا تفوت الفرصة ، فانه
ان ظفر بك بعدها لا تربح منه صلاحاً . وليكن محل الهدنة الى
أمدٍ معلوم واقلها أربعة اشهر ، فاذا مات احد المتهادنين اصاب
الثاني كموت بعض المتسادين ، فان صفت همته وكافت روحانية
لها مجانسة في الملكوت الأعلى وعلو همة ظاهرة فخط طريقة صالحة
من تثليث او تسديس من منجم ناظر اليك لا الى سواك وتجز له ،
فان تونست به صار لك وزيراً .

والأصل في النجوم هو علو الهمة وتزكية النفس وتقليل
المآكل والانتقطاع في الخلوة، ودوام الذكر حتى ينخرق لك من روزنة
الغيب من عالم الباطن أنوار المكاشفة ، فتصير للاملاك والافلاك
حديثاً تغلب لاهوتك على ناسوتك ، فتصير زيتاً لمصباح مشكاة

الأنوار الالهية كما قيل :

ثقلت زجاجات أتنسأ فترعاً حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفّت وكادت أن تطير بما حوت وكذا الجسم تخف بالارواح
واذا حصل لك خير السعادة من العلة التي هي مبدأ كل علة
بطريق المجاهدة في تحصيلها افرغت عليك أنوار المحبة ، فصار
الخلق لك طائعين ولا سيف بينهم بل يبسط باع فيهم كما كتب
بعض الملوك على درع له :

عليّ درع تلين المرهفات له من الشجاعة لا من نسج داود
وانني فيه أمر الله صيرني نار من البأس في بحر من الجود
فان انسد عليك باب المجاهدة وغلقت ورأيت باب الطلب
مسدوداً فلا ترض بالمناقضة بل تميل الى الزهد ، فان الناس رجالان
ناسك ومالك ، كما تمثل عمر بن عبدالعزيز ببیت الفرزدق
استشهاداً به :

اما ذباباً فلا تعباً بمنقصة او قمة الرأس واحذر ان تقع وسطاً
ومثلها قول امير المؤمنين صلوات الله عليه :

اذا ما لم تكن ملكاً مطاعاً كما ترضى فكن عبداً مطيعاً
فان لم تملك الدنيا جميعاً كما تختار فاتركها جميعاً
هما شيئان من نسك وملك
ينيلان الفتى شرفاً رفيماً

إذا ما المرء عاش لكل شيءٍ سوى هذين عاش به وضعياً
كتب معاوية الى ابنه يزيد « ان فاتك يا بني الملك فلا يفوتك
المحراب » •

وبهذا الطريق نال الناس مطالبهم حتى رأينا الملوك متقاطرين
على باب الزهاد ، ولهذا قال القشيري :

إذا ما الفقير بباب الأمير فبئس الأمير وبئس الفقير
وأما الأمير بباب الفقير فنعم الأمير ونعم الفقير
واعلم انه إذا حصلت القلوب بعرفة صمديتها وانكشف لها
نور الجلال بالبراهين الباطنة وحصلت التحلية والتصفية كوشف
بالعالم العلوي والأخروي وعلم سر معانيها ، فهو الذي كوشف
بعرفة الكيمياء الأكبر فتصير الملائكة له خداماً فيشاهد أساور
الجنة وأسرتها ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
كيف أصبحت يا حارث ؟ قال : أصبحت بالله مؤمناً حقاً • فقال
عليه السلام : ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك ؟ فقال عزفت
نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها ومدرها ، وكأني بأهل الجنة
في الجنة يتزاورون وبأهل النار في النار يتعاونون ، وكأني بعرش
ربي بارز • فقال عليه السلام : مؤمن نوّر الله قلبه •

الآن وقد عرفت فالزم • وأقسم عمرك وايمانك ودهرك أثلاثاً

ثلاثاً لنفسك ، وثلاثاً لرعييتك ، وثلاثاً لربك .

واعلم ان الناس بك لا يذنون لطلب منافعهم ، وكل أحد يريدك لنفسه الا الله فانه يريدك لك ، فكن معه ولازمه ، ولا تستهويك الأمانى فالظل لا بد ان يزول ولو عمرت ما عاش آدم .

أخبرني استاذي الجويني عن مشايخه قيل لمحمود بن بويه : كيف عمدت الى طلب المملكة ولم تكن لها أهلاً : فقال : سمعت امرأة تنقر دفاً وتقول بيتاً لعمر بن سبطين :

من هاب خاب ومن جسر بلغ المنا

والدهر فيه عذوبة وعذاب

فحملني ذلك على طلبها فطلبتها وثلثها ، وقد تحالى ^(١) المتنبى

حيث قال :

فشب واثقاً بالله وثبة حازم

يرى الموت في الهيجا جنى النحل في الفم

وانظر الى علو همة الحلاج وان كان قد قال الحاسدون فيه

ورجموه بالحلول ، أليس تلقى الموت غير خائف ونضح ظاهره

بما اعمى جهلتهم ، حتى قيل لأبي العباس بن شريح ، ما تقول

(١) من المحالة الحذق ودقة التصرف في الكلام .

في الحلاج (٢) ؟ قال : ما أقول في رجل هو أفقه مني في الفقه وفي الحقيقة ، ما أفهم ما يقول : فقل له : ما سمعت منه في جملة ما سمعت ؟ قال : سمعت في بعض كلامه وهو يشير إلينا : من حضر يطلب شهادته ومن غاب صحت مرواته ، سكران الحقيقة كيف يحس بدمدمة المحشر ، أما يشتغل بكشف تجلية أسرار محبوبه وأنوار مشاهدته •

وفي مثل هذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « حسنات الأبرار سيئات المقربين » لانهم واقفون مع صف التجلي ، فمالهم والندم على ما كان والخوف مما يكون ، صفيت أحوالهم في زوارق المجاهدة فامتنعوا بطريق الدلال عن الالتفات الى غيره ، فطاروا بأجنحة علومهم المجموعة في المجاهدة والتصفية والتركية ، فخرقوا حجاب الناسوت حتى وصلوا اليه ، ضاقت بهم العبدية فخرجوا عن حيز العالمين فمزجت الناسوتية بصفات اللاهوتية ، فعادت

(٢) هو الحسين بن المنصور الواسطي العارف من مشايخ الصوفية ولهم فيه مبالغات عجيبة وغلو فاحش ولكنه عند الأكثر مذموم فاسد العقيدة لما ثقل عنه من الشعوذة والحيل وجاء في غيبة الشيخ التوقيع الصادر من الناحية المقدسة مما يدل على سوء حاله قتل مثله ببغداد سنة ٣٠٩ هـ واحترقت جثته •

النفوس الطاهرة الى معادنها ، وهبَّت عليهم نسمات واجب الوجود
فحلوا في خيام الراحة بعد البعث في مقعد صدق عند مليك مقتدر ،
كما قال السكران من العشق :

انما الحب فناء كله رحمَ الله فتىً قال به
إن من أضحى بقلبي ساكناً لم يذر منه سوى قلبه
في ظلال الشوق قلبي راقد من هجير الهجر قد قال به
فان لم تكن أيها الملك طالباً لا بهمة علوية ولا بيد باسطة
سبعية فأنت كما قيل :

اذا كنت لا ترحى لدفع ملةٍ ولا لذوي الحاجات عندك مطمع
ولا أنت ذو جاهٍ يعاش بجاهه ولا أنت يوم الحشر ممن يشفع
فعيشك في الدنيا وموتك واحد وعود خلال من حياتك أقع
ومثله :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جرء الذبول
وقد مر بك شعر آخر :

ان لم يكن بدٌ من الموت فمت تحت ظلال الاسل الذوابل
وكن آخذاً بقلوب الناس بكتب وهدايا ، واستجلاب مودات
الكبار ، والخدمة للأخيار ، واكرام العلماء ، ومداراة أحوال
الناس ، وسد خللهم والصفح عن زلاتهم •

وانظر كيف أدَّبَكَ المصطفى عليه السلام حيث قال : « امرت
أن أعفو عمن ظلمني ، وأصل من قطعني ، وأعطي من حرمني ،
وإن أجعل سكوتي فكرة وكلامي عبرة » .

وإن أردت الجواب فلا تعجل ، واستعرض كلام الرُّسُل
متفرقين غير مجتسعين ، واعط الجواب على تؤدة ، وارض الرسل
ينبسط ثنائوك ، فقد قيل انه لما دخل حكيم العرب على كسرى
أجزل له العطاء فلامه بعض الكبار فقال : الملك مملكة وجمع ولؤم
داءن ودواء فالغلبة للاكثر .

واتعظ بقول الله تعالى « وتلك الأيام نداؤها بين الناس »
فهكذا قد انتقلت من سواك اليك وستنتقل منك الى سواك ،
وانظر الى الأمثال المضروبة في شعر امير المؤمنين عليه السلام :
الناس في زمن الاقبال كالشجرة

وحولها الناس ما دامت لها ثمرة
حتى اذا ما عرت من حملها انصرفوا
عنها عقوقا وقد كانوا بها بررة
وحاولوا قطعها من بعد ما شفقوا
دهراً عليها من الأرياح والغبرة

قلت مروا أهل الأرض كلهم

الا الأقل - فليس العشر من عشرة

لا تحمدن امرءاً حتى تجربته فربما لم يوافق خبره خبره واصطف لك من الناس من تركوه ، فقد اصطفى الله من الناس

رسلاً ومن الملائكة والله أعلم حيث يجعل رسالته •

وإذا عازمت على دخول الحمام فالأفضل يوم الأربعاء ، ففي

الأثر « من دخل أربعين أربعاء الحمام أمن من الفقر » •

واخل ليلة الخميس والجمعة لطلب حاجاتك من الله الكريم ،

ففيها بلغ الأنبياء والعلماء وأرباب المقاصد والرياسة :

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

وفي يوم الجمعة ساعة من أدركها بلغ حاجته ، فقد قيل هي

هي أول النهار ، وقيل وسطه ، وقيل آخره • وهكذا نقل عن فاطمة

الزهراء صلوات الله عليها انها كانت تترك جارية لها لتعرفها غروب

الشمس من يوم الجمعة • وقرأ فيها سورة الانعام ، ولا تكلم

فيها أحداً ، فاذا وصلت الى قوله تعالى « رسل الله أعلم حيث

يجعل رسالته » فاسأل ، لأن الله ما رد قسم من أقسم عليه بين

النبيين •

وكل من الأنبياء كان له خاصية في يومه ، مثل السبت لموسى

والأحد لعيسى، والاثنين لابراهيم، وفي يوم الثلاثاء جاءت البشارات لنوح (ع) بالنصرة، وفي يوم الاربعاء انتصر زرادشت ^(١) على أهل ارمينية، وكان الخميس والجمعة لرسول الله (ص) •
وقد قال المنجمون في أيام الاسبوع ما قالوا وجعلوا لكل كوكب يوماً : فالسبت عندهم زحل، والاحد للشمس، والاثنين للقمر، والثلاثاء للمريخ، والاربعاء للعطارد، والخميس للمشتري والجمعة للزهرة •

وقد ذكر الجمهور منهم ان طالع رسول الله (ص) تولده الزهرة، وهم لم يطلعوا على الاسرار ونحن فكشف نبأ من ذلك فنقول : بأن موسى دعا الى المغرب لتحكيم زحل في تلك الجهة، وقبله عيسى الى المشرق نحو الشمس، وقبله نبينا محمد (ص) الى جهة الكعبة • وهذا سر لم يطلع عليه أحد الا من شاء الله، وذلك انه اذا قام مستقبل القبلة الحرام كان سهم زحل يمينا وسهم الشمس شمالا والجدي في مقابلة وسط الكتفين والنسر الطائر وسعد بلغ في الجهة العلوية، فتم مع السعادة ما تم فأصيب بسهم السعادة ما لم يصبه أحد سواه، فبلغت حجته وعلت كلمته ودامت دولته وسعدت امته وعضدت شريعته، فنصرها الترك من المشرق

(١) يعرف بنبي المجوس والفرس الاقدمين فيه آراء وأقوال •

وأهل المغرب حتى بلغ انهم آمنوا لا بالسيف بل بالكتب « أوائل
الركب مالي منهم خبر » وهكذا البيت الثاني .

واسمع قصة عيسى (ع) مع جالينوس ملك الساحل وطبييهم
حين نفذ الى عيسى انا لا نطلب منك احياء الموتى بل هذا الرجل
المسلول اشفه لنا في هذا الشهر كانون وأنا أو من بك . قال المسيح:
اثنوني ببطيخة الحما فسقاه منها ، فتقبىء الرجل شيئاً أسوداً على
هيئة الخبز المحروق ، فقام بقدرة الله تعالى سليماً لا مرض به .
ثم قال عيسى (ع) : يهددني جالينوس ، ثم دخل هيكل العبادة فما
اتصف الليل الا وثار على جالينوس علة اساطوريا والكرائية فمات
بها قبل الصبح .

وحدثني يوسف بن علي بأرض الهرماس ^(١) التي بنات
أرضها خواص عظيمة نذكر نبذاً منها في أماكن من هذا الكتاب وشيئاً
في كتاب السلسبيل . قال يوسف شيخ الاسلام : دخلت المعرة
في زمان المعري وقد وثى به الوزير الى الملك محمود بن صالح

(١) الهرماس : موضع بالمعرة ، والمعرة موضعان : أحدهما
معرة مصرين وهي بليدة وكورة بنواحي حلب ، ومعرة النعمان
بنابلس ، وهي مدينة كبيرة بين حلب وحماة بها زيتون وتين وفستق
كثيرة ومنها كان أبو العلاء المعري صاحب القصة .

وقال : ان المعري رجل برهمني لا يرى افساد الصورة وأكل الحيوان ، وانه يزعم ان الرسالة تحصل بصفاء الصقل ، ولم يزل الوزير جاهداً حتى حمل الملك على احضار الشيخ ابي العلاء المعري فأخذ وراءه خمسين فارساً ، فدخل الى الشيخ رجلان من أصحابه وأعلماه بالقصة ، فدخل المعري المسجد وانزل الفرسان في دار الضيافة ، فدخل مسلم عم المعري على الشيخ وقال : يا بن أخي قد نزلت بنا حادثة يطلبك الملك فان مانعنا عنك عجزنا وان سلمناك كنا عاراً عند ذوي الذمّام وتكون الذمّام على آل تنوخ (٢) . فقال المعري : خفف عنك غمي وأكرم اضيافك فلي سلطان يذب عني ويحامي عمن هو في حماه ، ثم قال الشيخ لعلامة قنبر : قدّم الماء . فقدمه اليه واغتسل به ، فلم يزل يصلي حتى انتصف الليل وممر أكثره ثم قال لعلامة : اين المريخ ؟ فقال : هو في منزل كذا وكذا . فقال : ارقبه واضرب وتداً تحته واعقد خيطاً في يدي متصل بالوتد ففعل به ذلك فسمعناه يقول : يا علة العلل ، يا قديم الأزل ، يا صانع المصنوعات ، أنا في حماك الذي لا يضام . ثم جعل يقول : « الوزير الوزير » حتى برق بارق الصبح ، فسمعنا هدة عظيمة

(٢) التنوخيون بيت مشهور في بغداد في القرن الرابع والخامس

ومنهم القاضي المحسن التنوخي صاحب (الفرج بعد الشدة) .

فسألنا عنها فقيل هي دار الضيافة وقعت على ثمانية وأربعين رجلاً
وعند طلوع الشمس جاءنا كتاب الطائر يقول فيه : لا تزعجوا
الشيخ فقد وقع الحمام على الوزير • ثم التفت الشيخ الي وقال :
من أي أرض أنت ؟ فقلت : من أرض الله تعالى • فقال : أنت من
أرض الهرماس أنت يوسف بن علي حملوك على قتلي وزعموا اني
زنديق وكان حجتنا بالشام ، ثم قال لي : اكتب على صفة الحالة :
باتوا وحتفي أمانني لنيتهم وبت لم يحضروا مني على بال
وفوقوا الى اشاراتٍ سهامهم فأصبحت وقّعاً مني بأميال
فما ظننوك ان جندي ملائكة وجندهم بين طوائف وحجال
لقيتهم بعضا موسى التي منعت فرعون ملكاً ونجّت آل اسراة
اقيم خمسين صوم الدهر آلفه وادم من الذكر ابكاراً وآصال
عيدين أفطر في عامي اذا حضرا عيد الاضاحي ويقفوا عيدشوال
اذا تنافست الجلاس في حلال رأيت لي من خسيس القطن سربال
لا اكل الحيوان الدهر ماثرة أخاف من سوء أعمالي وآمالي
وكيف أقرب طعم الشهد وهو كذا

غضب لمكسب نجل ^(١) ذات أطفال

(١) النجل في اللغة من الاضداد بمعنى الوالد والمولود معاً

وهنا بمعنى الوالدة أي امرأة ذات أطفال •

نهيتهم عن حرام الشرع كلهم ويأمروني بترك المنزل العالي
وأعبد الله لا أرجو مشوبته لكن تعبّد اكرام واجلال
اصون ديني عن جعل أوامره اذا تعبّد أقوام بأجبال
فاذا كنت أيها الملك على هذا الوصف بلغت المقاصد ووصلت
الى المشرب الهنيء ونكبت لأعدائك وتصير مثل دعاء القلنسوة
والنجاشي ، وربما تكون أنت الملك السفيفاني فتتح لك الحصون
من غير تعب ، وجود بك الذرع والضرع والزرع اذ الناس بالمال ،
وربما تسعد بهذه الحالات كما سعد الاسكندر ، فما قد كان
يجوز أن يكون .

وقد قال في خطبة البيان : لا بد من ظهور ملك عادل زاهد
خائف يمهّد البلاد ويحسن الى العباد ، وهذا بعد ثلاث وسبعين
بما شاء الله .

وهذه الخواطر الربانية كيف ظهرت فراستها في كشف الامور
المغيبية ، فاذا رق حجاب القلب يرتفع السد فيتبين لك ما في اللوح
المحفوظ فتخبر بما في عالم الغيب من غير ريب ، والله عالم الغيب
يعلمه من يشاء ، والملوك تودع سرها عند من تحبه وتختاره ،
وقد سمعت حكاية أياز مع سلطان محمود .

فاتبه أيها الملك لهذه النكت والاشارات ، وقد نصحت لكم

ان كنتم تحبون الناصحين ، والمملك بالعلماء أليق من الفجرة
الفاسقين ، ولكن ليقض الله أمراً كان مفعولاً ، ولا بد للارض من
ناصرٍ ووارث يورثها من يشاء من عباده .



بسم الله الرحمن الرحيم

واعلم ان الناموس هو مفتقر اليه في بعض الأحيان كالدواء
لكن تكشف شرح مشقة الاحوال عند العوام ، فان صاحب الشرع
خاطب الناس على قدر عقولهم ، والمنزه ذكره خاطب كل أحد بما
يستحقه ويعقله ، فلقوم « ولدان مخلصون » ولقوم « سدر
مخضود وطلح منضود » ولأرباب الهمم العالية « وجوه يومئذ
ناصرة الى ربها ناظرة » والمنشد قد نبه في نظمه :
اما ذباباً فلا تعباً بسنقصة

او قمة الرأس واحذر ان تقع وسطا

واعلم ان الزمان حبيب أهله ، فطائفة تخترع لها مذهباً في
الناموس بطريق الزهد كالسبوح والمرقعات وجلود الغنم والبرانس
واذان الليل والانقطاع في الكهفان ، وكبر الامور بحيث ان يقول
لصاحبه اذهب ففي الموضع الفلاني كذا وكذا .

وطائفة تظهر النور ، واخرى تقعد بين القبور ، وتعرض
الخزعات والنيران بجيات بمعرض الكرامات ، مثل دهن الأقدام والخوض
في النار واظهار الخرق من سمندل الصين التي يذهب وسخها النار

واظهار الخفف ومد الشعبة وضرب طلسم على النعل فيعبر الماء ،
ووقوف السجادة في الهواء ، وشعلة القناديل واشعال السراج بالماء
دون الدهن ، وكثير من ذلك لا عدد لها •

والفرق بين المعجزة والسحر والكرامة هو دوام الشيء واظهاره
للناس كالقرآن المجيد ، فهو المعجز الاكبر والناموس الأعظم ،
فلا تظلى على الملك حالات المهرجين •

واما أرباب الكرامات والمكاشفات فهم الذين استخدموا
وخدموا واستعملوا وعملوا ، فكشف لهم العمل سد الغفلة ،
وضرب جهة الذكر ما في الألسنة القلبية فأزال زرقتها وسوادها •

الجزء الثاني من سر العالمين المقالة الرابعة عشرة في الحقيقة

بسم الله الرحمن الرحيم

واعلم انما عقيب المجاهدة وقعت المشاهدة فتنورت القلوب بنور الصدق والتصديق ، فهامت النفوس المقدسة في مهامه المروّج الصمدية ، وانكشف سر اللوح المحفوظ من دار الديمومية ، وظهرت الخواطر الصافية عن الأجسام الرذلة المعلولة ، فأفرغت في قالب كمال الوجود وافقت ^(١) من صحبة أهل الجود، وبزغت لهم أقمار الحقائق من فلك الطرائق ، فكان باب بدو البداية رؤية كوكب ضعيف ، ثم انبسط النور الرباني من نقش عرش الايمان ، فصار قمراً ابراهيمياً ، ثم انبجست عيون المحبة الربانية عن فيض شمس الحقيقة البرهانية ، ثم رقى القلب الصادق الصافي الوافي على براق علو الهمة فصادت فلكاً وملكاً ، ثم صفقت أجنحة الاشتياق فصادت عقار المحبة ممزوجةً بمياه الخوف الخوف ، فشربت لما قربت وطربت وتقربت

(١) أفق الرجل أفقاً بلغ النهاية في العلم او في الكرم .

وشقت ثياب البشرية والتحقت به بالكلية وأنشدت في سكرها :

ولقد خلعت على العواذل سلوتي

وحلفت بالحرمين لا أنساكم

ففتحت أبواب مجالس الطرب ونادى العاشق الصادق من عظيم

الويل والحرب ، أعجز عن حمل حلاوة الخلوة فنادى بين شوارع

دروب الكروب :

بالله ربكما عوجاً على سكني وعاتباه لعل العتب يعطفه

وعرضا بي وقولا في حديثكما ما بال عبدك بالهجران تتلفه

فان تبسم قولاً في ملاطفةٍ ما ضر لو بوصال منك تسعفه

وان بدا لكما من مالكي غضب فغالطاه وقولا ليس تعرفه

فاذا شوهده منه ضعف الحمل أماته يد القدرة عن تحمل الثبیت

فهو معروف في البداية بالجنون وفي النهاية بالفنون ، فتراه في

حال بدايته يتشبب بالنعمة والسماع ، ان اتخذه دأبه وعادته

صرف وجهه عن الباب فضرب بينهم بسور له باب ، وان جعل

ذلك جسراً يجوز به من العلم الاصغر الى العلم الاكبر وهو علم

المعارف ، فيدخل في حالات العاشقين ومقامات الصادقين ، فيقبل

تحت أشجار الحكم اللاهوتية عند رب العالمين ، فتنكسر زجاجات

جسمانيته ويدور به دولا ب سعادته ، فأول مقامه اظهار كرامته ، فاذا

رأى أحداً من أحبائه وضع خده تحت نعله وترا به ، كما تفل في

الحكايات المجنونة في ليلى العامرية انه رأى على كتفه كلب يطعمه
ويسقيه وقيل له في ذلك فقال : رأيته يحرس باب ليلى ، ثم أنشد
حين تأوه :

رأى المجنون في الفلوات كلباً فضم اليه بالاحسان ذيلاً
فلاموه على ما كان منه وقالوا له منحت الكلب فيلاً
فقال ذروا ملاكم فعيني رأيته مرة في باب ليلى
وهذا يعضده ما روى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قيل له : ألا اتصلي على فلان وقد مات ؟ فقال : لا اصلي على من
لم يصل . فقال عمر : أنا رأيته يصلي ركعتي العيد . فقال عليه
السلام : كيف أصلي على من لم يصل الا نافلة ، فجاءه جبرئيل
عليه السلام أمين الحضرة وقال له عن رب العزة : يا محمد أليس
رأوه في بابنا مرة فاذا رددته من بابي فيباب من يقف ، يا محمد
اني قد غفرت له فصلت عليه ملائكتي ان الله لغني عن العالمين .
واما المواعظ التي تجلب بها قلوب الناس الى طاعة الملك .
فأنا قد عرفناك بطرق ثلاثة داعية الى الملك ، وها نحن نعرفك
بطريقة أخرى فنقول : يا أيها المعتب القائل من فلان حتى يثبت
على الملك ، أبناله وآله وملكه ومقاله وأبيه وأمه ، فنقول له :

من كان فرود بن كنعان ، وعاد صاحب الجنان ، وادريس مخيط
الخيام ، ونوح نجار للأفام ، وإبراهيم راعي الضأن ، وداود زراد
وطالوت دباغ ، وصالح تاجر ، وسليمان خواص ، وعيسى سراج ،
وآدم حراث ؟ أما تتعظ بقوله تعالى « تؤتي الملك من تشاء » .
واعلم انه لا بد لك من ملك تقتدي وتسل إليه ، فللحيوان

أمير ومقدم كالنحل والنمل وغيره ، ان فهمت بأذان العقل فكأن
أطوع من ضيف والا هامتك والسيوف ، أما سمعت قول المشرع
عليه السلام : « أطيعوا أميركم ولو كان عبداً حبشياً » وقال الله
تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » .

فان فهمت المواعظ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله :
« لا تشابكوا المساعيد فاني سيدهم » .

فان عربد الجهل فانظر الى البازي والعقاب والنسر والذباب
كما نظمهم ذوو الالباب :

يا طالب الرزق السني بقوة هيهات أنت بباطل مشغوف
رعت النسر بقوة جيف القلا ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف
وأنت أيها العاقل لا تشابك الزمان والدول ، ولا تفتتن بما جرى
للقوم الاول ، واذا سمعت بالمرتاخين فكأن بهم ملما ، فان خواص
أنفاس القوم فيها جذب مقناطيسي ، أما سمعت بنبي القرنين لما

سمع بأرباب الهمم الهندية وهم أربعون رجلا اتخذ لهم ما ازعجهم
وفرق همهم مثل زعجة الطبول والابواق فتفرقت همهم فداسهم
وانظر الى المعاني التي أودعناها في كتاب الملك ، فانها كافية ،
واستزد من الاشارات ، ولا تكذب الكلمات فانها خوات المعجزات
واعلم انه لا يستقيم جسم من غير رأس ، ولا سماء من غير
شمس ، ولا تحسن أرض من غير عمارة وفلاحة وتجارة وموت
وحياة وغنى وفقير وملك وسياسة وامارة ووزارة ، فالامور منظومة
بعضها ببعض كما سنبين لك فيما بعد .

المقالة الخامسة عشرة في قطع الدليل المستدل

ما أحد منكم يا معاشر المناظرين الا وقد تمسك بدليل يصلح
في عقده أن يكون دليلا ، فيعارضه مناظره بما يناقضه ، والمنقوض
كيف يكون دليلا ، والنقض اذا نقض بغيره فقد دخلته العلة فبطل
عن منهج الدليل وعارضته العلة بالنقض ، فصار كل دليل مزلزا
معلولا غير مقطوع ، فان كان منقولا أو معقولا وعارضه النقض
فقد بطل حكمه أو قوله . فان قلت بطل قوله فقد هدرت الشرع ،
لأن الحكم والقول تابعان ، وان قلت بطل حكمه فقد بطل العمل

به وان قلت بطل حكمه وقوله معاً فإن آثار فقه المستدل ، وان كان دليلك معقولا قياسا فكيف يستند بالقياس الى منقول منقوض وان كان غير قياس فكيف يشي به السؤال ، فبطل الكلام في النظر واذا علمت ان كلامك مدخل تحت العلة والمعلول فما العلة التي تنفصل عن المعلول وما هي العلة غير المنفصلة عن المعلول ، فان كانت العلة غير منفصلة عن المعلول فكيف يجوز أن يكون دليلا ، وان كانت داخلة في المعلول فاما أن تكون جنسية أو غيرها فان قلت انها غيرها فأين الدليل لتبيان القول ، وان قلت بأنها جنسية فكيف تأتي بعد مبين من غير نتيجة بأنها علة ومعلول .

وكل من فقهه نفسه لشيء فهو فقيه ، فكيف خص الفقه واين آثار التخصيص به والدليل المقطوع له ، وما النظر ، وما معنى المناظرة والمحاورة : فان قلت المحاورة هو زوال الاشكال من الحجة بطريق التبیین — كما يقال في التبويض ان فلانا أعرب حين يئس عن فلان بعض قصيدته ورسالته — فأين آثار تبیین حجتك اذا قطع الدليل والبرهان ، وان قلت الجدل المشابكة أو كجدل الجبل حين حاست بعضه ببعض ، فما ينفعك هذه المقالة اللغوية واللغظات الاصطلاحية اذا كان متن دليلك مقطوعا بالنقض والعلة الداخلة عليه من الخصوم ، فلا بد من جواب ، فجد بفهم خاطر فما هذا

مقام أو مثال يحتمل المغالطة والمدافعة ، فإن كان جوابك من غير السؤال فهو مداخلة ضعيفة به ، وإن كان من نفس المسألة فلا بد من برهان قاطع غير منقوض ، فالمنقوض معلول لا يصلح ان يكون جوابا .

وإذا سئلت عن الحجة والمعرفة بالشيء ، فاما ان يكون معرفتك برهان قاطع تقلا أو عقلا غير منقوض فمشبه وكن به مستدلا ، فالمعرفة بالشيء اما بنفسه أو بغيره ، فإن كان بنفسه فهو البرهان المقطوع به اذا لم يكن سبيل البعض داخلا عليه ، فالبراهين التصديقية كان برهانها تصديقها ، مثل ما تقول : « هذا رجل » فلا تقتقر ان تبرهنه « وهذا الليل أو النهار أو عشرة اكثر من خمسة » فهذا لا يطرد عليه معنى في بعض ولا ينعكس ، لان تصديقه ينقسم ولا يفتقر الى برهان ، فأت بدليل على هذا المعنى فقد علمت ان هذه العلة لا تفارق معلولها وان المعلل لا يكون لجهل أو الافحام أو قبح ، وانما يكون براهين تصديقية أو براهين معلولة أو منقولة غير منقوضة ، فاذا دخل النقض أزال حكم الدليل . فهذا معنى قولنا قطع الدليل .

ثم تستدلون بأخبار الآحاد والمراسيل وقد علمتم بالملزم فيها من الطعن والتشكيك ، ثم المتواتر بنفسه عندكم فهو دليل ، ولا

تعتبرون فيه العلم اذ همكم انما هو قعاقع (١) وخصومات واطهار مناقشات في رياسات ، والباحث عن اظهار الحق قليل .

المقالة السادسة عشرة

في كتاب الطهارة واسبابها

اعلم ان الطهارة فرض ظاهراً وباطناً .

(فأما الباطن) فطهارة القلب من كل شيء سوى الله ، فاذا وجدت من القلب هذه الطهارة الصافية الكاملة صار القلب محلاً للفيض الرباني ، والعلوم اللدنية الالهية ، وكشف اغطية اسرار عن نير نهار القدس ، فانجست عيون الكرامات وترقى العقول من حضيض الشهوات الى سماء حسن الظن ، ثم يتقوى حاله فيرقى الى سماء اليقين ، ثم الى سماء العلم ، ثم الى سماء الكشف ، ثم سماء الخاصة ومعارفها ، ثم الى سماء كشف أسرار الربوبية ، ثم يترقى العقل الجواهر الكامل الى الكرسي المراقبة ، ثم الى عرش حضرة القدس ، ثم تقدم له موائد فوائد تحفها المحبة فيشرق أنوارها على هياكل الطباع المظلمة ، ويجري قلم التوحيد فوق لوح التمجيد بطريق التأييد فنهم شقي وسعيد .

(١) التعقعة بمعنى الجدل .

واذا كشفت لك هذه المملكة الباطنية لم تلتفت الى الموت
فان الموت هو جامع بين الاحباب ومفرق للطباع المتنافرات ،
« فتمنوا الموت ان كنتم صادقين » وقد سمعت النظم فيه :

سهل عليك الذي تلقاه من ألم ان كان شملك بالاحباب يجتمع
فاذا طلعت عليك كاسات الوصال في دار التخليد وهبت
نسائم النسيم ونادى مناد التقديم « وفي ذلك فليتنافس المتنافسون »
فعند ذلك يصير روحك ملكا يضيء ولم تمسه نار .

واعلم ان الله تعالى خلق الحيوان وصنفهم ثلاثة أصناف :
فطائفة عقل مجرد بغير شهوة وهم الملائكة ، وطائفة شهوة بلا عقل
وهي البهائم ، وطائفة عقل وشهوة وهم بنو آدم . فمن غلب عقله
شهوته التحق بالملائكة ، ومن غلبت شهوته عقله التحق بالبهائم —
فاستقم كما أمرت .

(ثم نعود الى الطهارة الظاهرة) قدم الماء الطاهر في الاناء
المخسر واغسل يديك قبل الوضوء ثلاثا ، واستقبل بوضوءك
القبلة ، وكن على نشر خوف النضح ، وعليك بالتسمية والسواك
والنية في مبدء الفرض ، اذ الاعمال بالنيات .

وفرض الوضوء ستة : النية عند غسل الوجه ثم غسل الوجه
ثم غسل اليدين الى المرفقين ، ومسح القبيل من

الرأس ، وغسل الرجلين مع الكعبين ، ثم الترتيب في الموالاة في
أصح الوجهين •

ثم غسل الحيض والجنابة بوضوء وغسل ثلاثا ثلاثا ونيته
ونية غسل الجنابة أو الحيض •

ثم مناقض الوضوء وهو النوم قاعداً متمكناً ، ثم زوال العقل
بأي فن كان ، ثم لمس الرجل المرأة ولا حائل بينهما ، وينتقض
طهر اللامس دون الملموس في أصح الوجهين ، ولمس الفرج •

ثم آداب دخول القدم ^(١) تقدم الرجل اليسرى في الدخول
واليمنى في الخروج ، ولا يستدبر ولا يستقبل القبلة ولا
الشمس والقمر الا من وراء ستر وحائل ، وينحى ما عليه اسم الله
من عليه ، ويجوز الاستنجاء بكل طاهر الا ماله حرمة كالمطعم
وغيره ، ولا يجوز الاستنجاء بعظم أو جرح أو بما يؤذي المحل ،
فقد قال صلى الله عليه وآله « لا تستنجو بالعظم فانه طعام اخوانكم
الشياطين فان الله يكسوه لحماً فيأكلوه » •

والافضل ان يعقب الاستنجاء بالماء وهي طهارة أهل الفناء ،
ويقول في دخوله « اللهم اني اعوذ بك من الخبث والخبائث ومن
الشیطان الرجس النجس » فاذا خرج يقول « غفرانك الحمد لله »

(١) القدم بمعنى بيت الخلاء •

الذي أخرج عني الأذى وعافاني » ولا يجوز البول في الماء الراكد ولا ثقب ارض ، ولا قارع طريق أو شاطئ أو تحت شجرة مشرة وغيره •

ثم يجوز التيمم من عذر طارئ أو برد مخوف طارئ أو جراح أو فقد الماء ، فيجوز التيمم بتراب أو غبار تعلق اليد به ، ويجوز عن الحيض والجنابة مع الاعذار المخوفة الموجودة بضربتين لوجهه ويديه • قال غيرنا يجوز التيمم بكل ما صعد عن الارض من حجراً وجدار ولكن بعد دخول الوقت ، ونزع الخاتم من اليد ويجوز للمتيمم ان يصلي بالمتوضي^(١) ، فقد فعل ذلك اصحاب رسول الله (ص) ويجوز المسح على الجبائر بشرط الطهارة •

المقالة السابعة عشرة

في الحيض والنفاس وغيرها

وأقل الحيض يوم وليلة ، وغالبه ست أو سبع ، وأكثره خمسة عشر يوماً وبعد ذلك فهي استحاضة •

وأقل سن تحيض فيه المرأة ثمان سنين هكذا نقل الشافعي

(١) أي المتيمم يؤم المتوضي في الصلاة •

عن نساء تهامة (٢) وأقل طهر فاصل بين حيضين خمسة عشر يوماً .
ولا يجوز للحائض صوم ولا صلاة ، ويجب عليها إعادة
الصوم ، ولا يجب إعادة الصلاة .

ثم كيفية غسل الحيض والنفاس : اعلم ان دم الحيض اسود
ثم ينتقل الى الحمرة والصفرة وفي آخر العدة يكون بياضاً ،
فلتوضأ كوضوء الصلاة ، وتغتسل من الحيض ثلاث مرات وتقول
« نيتي غسل الحيض » .

وهكذا تغتسل من النفاس اذا انقطع دم النفاس ، وأوله من
حين الولادة ، واكثره ستون يوماً ، وغالبه أربعون يوماً .
وكانت البتول (١) اذا وضعت ولداً تتوضأ من وقتها وتغتسل
وانما سميت بالبتول لعدم النفاس والحيض وانقطاع حب الدنيا
عن قلبها .

(٢) هكذا نقل المؤلف عن الشافعي ولكن ما عثرنا
للفقهاء الشافعية ما يؤيد هذا القول (بل الاجماع عند
الائمة الاربعة ، ان مادون التسع سنين لا يكون حيضاً بل دم علة
وفساد) الفقه لمغنية .

(١) البتول لقب سيده النساء فاطمة (ع) وكذلك يطلق على
السيدة مريم أم المسيح (ع) .

واعلم ان النجاسات هي مثل الدم والقيح والصد ولحم
الخنزير وشحمه ولعاب فم الكلب والكلب الندى والفارة والخمر
والبول والغائط والجيف وكل ما استحال من طاهر وتتن في اصح
الوجهين ، فهذا أقل أحكام الطهارات بطريق الاشارات ، فاذا
أردت غاية الفقه فعليك بكبار المصنفات مثل كتابنا البسيط والوسيط
والوجيز والخلافة ، واذا أردت علم الخلاف فعليك بكتابنا التخصيص
وكتاب الاشراف في مسائل الخلاف ، وان أردت أكثر النهايات
فعليك بكتب امامنا واستاذنا أبي المعالي الجويني امام الحرمين
مثل كتاب نهاية المطلب في الخلاف في المذهب ، وان أردت علم
أصول الدين فمثل كتب استاذنا كالارشاد والمفيد والمحيط وكتابنا
وهو كتاب الاقتصاد في علم الاعتقاد ، وان أردت كتب اصول
الفقه فاقرأ كتاب المنحول في علم الاصول وكتاب المختل في علم
الجدل وكتاب تبصرة أبي اسحق وحل الافعال للقفال وكتاب شفاء
العليل ، وان أردت كتب الفلاسفة مثل كتاب الشفاء لابن سينا
وكتاب النشأتين وكتاب النجاة وكتاب الاشارات والتنبهات وكتابنا
وهو المقاصد والتهافت وكتب الفقهاء معروفة ، وأما كتب التفسير
مثل تفسير علي (ع) وابن عباس والسدي والكلبي والثعلبي
والرمانى وتفسير خلف الخراساني وتفسير علي الواحدى مثل

بسيطه ووسيطه ووجيزه •

واعلم ان المصنفات كثيرة واقربها ما دل على طريق الآخرة
مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي ومثل كتب احياء علوم الدين
وأوليات أبي المطيع وثبه الى كتاب استاذنا وأما الصحاح فمعروفة
فاطلع على العلوم واقو فيها ، واكثر من كتابنا هذا حتى تتكلم على
الناس بكلام مزوج •

ولا بأس بكتب الحكايات مثل كتاب مجرد الحكايات
للدائماني وحلية الاولياء للقاضي أبي نعيم وكتب طبقات المشائخ •
وحصل ما استطعت من التصانيف ، فان السواقي اذا اجتمعن كن
دجلة لا تخاض •

وكل علم يراد لمعنى : مثل علم اللغة ويراد منه معرفة الاسماء
المشوقة والاصطلاحات ، والمراد من النحو هو تبيان الاعراب
من رفع ونصب وجر وخفض وجزم وان اخواتها الناصبة للاسماء
وكان واخواتها الرافعة للاسماء والحروف والظروف والجارّة
والاسماء مثل حبذا ونعم واذا واذا ثم الحروف الشرطية ثم
ان الثقيلة وان الخفيفة واعم الالفاظ الشرطية كلها وعليه مبني
مسألة الدور لابن شريح كما كان لا يعول بها ، فلما تبين وجه
دليلها النحوي ومبناها على اقطاب واصول قوته لا نقص فيها

انكشف كوكب القرآن عن دليل التبيان في صحة مدار المسألة من قوله تعالى : « لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفأحشة مبينة » فدعاني هذا الدليل بقوته حتى صنعت نهاية الغور في مسائل الدور .

ثم ان المراد من الفقه هو معرفة الآداب والاحكام المنجية من النار والمؤدية الى دار السلام ، والمراد من المنطقيات هو نحو العقول كنحو اللسان يقيد بها المعاني كتنقييد النحو باللسان عن اللحن ومعرفة الخطايات والظنيات وأوزان المعاني القلبية كالفرق بين الشك والظن واليقين ، والاوزان اللفظية مثل أوزان القرآن العظيمة التي لا تشابه الشعر ولا الخطب ولا الفصول ، حير العقلاء في معجزه وأخرست آياته الفصحاء ، وقصت فصاحته طول ألسنة المتكلمين ، فهو المعجز الدائم الذي أخرس ألسنة الناطقين وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ثم معرفة الطب فمبناه على العلة والمعلول والدواء وهو مسألة يعجز بها المتطبب ، فنقول : يا حكيم اذا ثبت ان الحرارة الغالبة والبرودة الغالبة قاتلة فأين الشفاء ، فلا دواء الا بحرارة أو برودة أو ييوسة أو رطوبة فالدواء من الداء فان قال نعالج بغالب مضاد لما غلب وجاوز الاعتدال . فنقول : هذا التعديل

والغلبة من حيث الوزن أو من حيث الخاصية المستعقبة للتركيب؟
فإن كان بالوزن فقد نرى انهما متفقين في الطبع اذا تركبا لم ينفعنا
نفعهما الاول بل يتغير نفعهما وضرهما •

ثم يا حكيم هذا المزاج كالسراج المجتمعة بطريق الكمال اذا
اطفاها النافخ فاين نورها ، وما معنى قوله (ص) الجبن كله داء
واكله مع الجوز دواء ، وهما حاران يابسان وكل منهما شر في
نفسه ، فمن أين وجود الدواء ؟ وان قلت بالخاصية ، فالخاصية
فيض من العالم القدسي ، مركب في نفسك الاخلاص والاستقامة
ويفيض عليك من أصل المعدن دواء لا داء معه •

واعلم ان المنجمين زعموا انه اذا تقارن الجرمان واجتمعا
لا بد ان يظهر بينهما منفعة عند اجتماع الجنسين ، فالجبن اذا
اجتمع مع الجوز صارا خلطين يابسين ، فقد فهمت الآن ما يراد
من العلوم وظهر لك غوامض الصلاح •

فاعلم حينئذ ان أجل العلوم ما دخل معك القبر ، وهو علم
التوحيد، فاطلبه ببراهينه العقلية والنقلية والتأيدية، وهذا الكشف
لا يصلح لك الا بطريق العلم والعمل فيه وتحصيل المكاشفات
وتظهير حلاوات المحبة من ينابيع المراقبات ، والعلم اذا لم يكن
مقرونا بالعمل فهو هذر ومهدرة ، وقد رضى صاحبها بقشر مزخرف

الظاهر ، وهم علماء السوء الذين فيهم الامثال المضروبة ، فما
تصنع بالسيف اذا لم تك قتالا فخذ من حلية السيف وضعه لك
خلخالاً .

أما سمعت في الحديث الطويل المنقول عن ابي الدرداء :
ان الله يمسح علماء السوء في صور قبيحة والطيا لسة حيات مطوقة
في الاعناق ، قنعوا بعلم النظر وطلبوا فيه الغلبة يريدون العلو
والمناقشة :

تبا لهم من معشر كلهم	عبيد سوء مالهم قدر
رضوا بقال واستغلوا به	ليس لهم في فعلهم عذر
من عاشر القوم سيلقاهم	حياة سوء كلها بتر
يامعشر القصاص أتمم وهم	في طبق النار لكم سعر
قلتم عن المختار ما لم يقل	هذا قبيح ولكم سكر

وكثير من الاحاديث المروية في علماء السوء ، ولقد مر أبو
سعيد الخدري بجماعة يجادلون بعضهم بعضا فقال : ما هذه البدع
وما هذا الشنع المرء ثم النفاق نظر كم عسى . ثم قال : سيرد في
آخر الزمان أمة تعلم الجدل ، ويأكلون الرشوة ويداهنون الناس
ويلبسون المخشخش من ناعم الثياب ويأكلون منخول البر ،
ويعاشرهم الملوك ، ويزعمون انهم العلماء ويؤخذ فتواهم ، أف

لأمة هذه علمائها وأئمتها •

وقال رجل لأمير المؤمنين صلوات الله عليه : أريد التوبة •
فقال له : ماذا ؟ فقال من الزنا والخمر فقال : تب من الكذب
والمناظرة أولا وقد تخلصت •

وقال ابن عباس : أترى ان المناظر يريد اظهار الحق على
يده أو يد أخيه ، فان أراد لأخيه فهو مع السلف الصالح في الصف
الاول في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وان أراد
الغلبة والعلو والقهر والمخاصمة وعلو الصوت ينكشف أمره
ويخطيء بالقدر ويغلب به القدر الى النار ، وسيعلم الذين ظلموا
أي منقلب ينقلبون •

تم كتاب التفليس لأرباب النواميس ، ويتلوه كتاب الصلاة
والحمد لله رب العالمين ، والصلاة على نبيه محمد وآله أجمعين ،
وبه نستعين •

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الصلاة

وهو مقالتان : مقالة في الاحكام الظاهرة ، والمقالة الأخرى في الأحكام الباطنة وما يجد فيها العارفون .

اعلم ان الصلوات الفرض هي خمس صلوات وركعاتها سبع عشرة ركعة ، واكمل سنتها الرواتب ثماني عشرة ركعة ، وأحكامها الظاهرة : مثل اكمال الوضوء بالماء الطاهر ، وطهارة الثوب والبدن والمكان ، واستقبال القبلة ، والاثنيان بتشديدات الفاتحة ، والطمأنينة في الركوع والسجود ، والاعتدال بين السجدين ، والرفع من الركوع ، وقولك في الركوع ثلاث مرات « سبحان ربي العظيم وبحمده » وتقول في السجود « سبحان ربي الاعلى وبحمده » مثلها وهو أقل الكمال .

ثم الاكتناف ومعرفة الأوقات : فوقت الصبح اذا تبين الفجر الثاني ويبقى وقت الأداء الى طلوع الشمس ، ووقت الظهر اذا غربت الشمس من وسط الفلك ويبقى وقت الأداء الى وقت العصر

ووقت العصر اذا صار ظلّ كل شيء مثله وزاد عليه أدنى زيادة
ويبقى وقت الأداء الى غروب الشمس والمغرب مع طلوع الليل ،
ووقت العشاء اذا غاب الشفق الأحمر ، وعند أبي حنيفة والمزني
اذا غاب الشفق الأبيض وهو وقت صلاة المتقين والابرار، والاذان
شرط لا فرض الا على الكفاية •

ثم تلزم قوانين الاسلام وتستحى من الله كما تستحى من
سلطانك ، أما سمعت الخبر « لا تجعلني أهون الناظرين اليك »
قال الله تعالى « أيعسب ان لم يره أحد » وتعظم شعائر الله وتأتي
بها في أوقاتها الا الظهر في شدة الحر كما قال « ابردوا بالظهر
ونوروا في الفجر وأخروا في العصر » •

ثم تأتي بكوامل النوافل مثل الضحى والتراويح والصلاة
بين المغربين وأوراد الليل والسحر وسنن يوم الجمعة العشرة
وآدابها ، مثل الاغتسال والسبق اليها وقراءة الكهف وكثرة
الصلاة على رسول الله (ص) وتواظب فيها على الصلاة السبعينية
قبل الزوال وتطلب فعلها في الاحياء ، وتأتي فيها بصلاة الحاجة من
اثنتي عشرة ركعة بست تسليمات تقرأ بعد الفاتحة آية الكرسي
مرة وثلاث مرات « قل هو الله أحد » ، فاذا فرغت من جميع
الصلاة تسجد بعد السلام فتقول في سجودك : « سبحان الذي

لبس العز وقال به ، سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به ، سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه ، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له ، سبحان ذي العز والكرم ، سبحان ذي الطول والرحمة ، أسألك اللهم بسعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وبكلماتك التامات كلها التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان تصلي على محمد وآل محمد » ثم تسأل حوائجك الجائزة .

ولا تصل في المواضع النجسة ، والمواضع المغصوبة ، ولا في ثوب حرير ، ولا في خاتم ذهب ، وتقوم بالمسكنة والذل والصغار ، فاذا اجتمع الناس تحسبه جمع في القيامة ، وتحسب صوت المؤذن كنفخ الصور ، وظهور الخطيب في الموعظة كتجلي الحق لعب الخلق والتوبيخ ، وقيام الناس في الصلاة كقيامهم في الموقف ، ثم الانصراف من المسجد كتفرقهم يوم المعاد فريق في الجنة وفريق في السعير .

والسر في الوضوء هو طهارة الاعضاء وتنميتها ، والشجرة الآدمية كغيرها من الشجر لا بد لها من خدمة فجراعتها كقص الاظفار والحلق ، وشربها الماء كالوضوء والغسل ، وتنظيفها وخدمتها كحسن آدابها وترك الفضلات الدنيوية وانبات بقول العلوم عن

سواقي الخدمة، وصون النفوس من القبائح والذائل سباطها^(١) وختها
وجريان مياه الفضل في بناد أنهار العقول ليكسب في الشجرة
نوح حمام المحبة وصفير بلبل التوحيد وتمام المعرفة وانوار اليقين
في برك البركات وصفاً نسيم الصدق في جواز احداق المعرفة
وأهداب الشجرة مخاطبة بانوار الايمان ومنادي الازل ينادي
بقلوب المريدين : « سيروا من قواليب الاغيار الى الشجرة
الزيتونية المباركة التي ليست بشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء
ولو لم تمسسه نار » هذا معنى قوله تعالى « لا يزال عبدي المؤمن
يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه » فاذا أحببته صرت سمعه الذي
يسمع به وبصره الذي يبصر به ، فبي يسمع وببي يبصر ، فمن
يبصر ويسمع بي أقل ما اعطيه ان اخرق بيني وبينه روضة يراني
بها وينظر من غير مثال، واعطيه نورا يفرق به بين حقائق معلومات
معناه تحمل قلوبهم في صلاتهم الى حظيرة القدس ، فيشاهدون
جلال الربوبية من الديمومية وتظهر لهم شمس المعرفة من صفاء
سماء حقائق القلوب وتنجلي لهم حالات الآخرة بذاتها مثل ميزان
العقل وصراط اليقين وهو معنى قوله (ص) « أرحنا بها يا بلال »
ومعنى قوله تعالى « واسجد واقترب » •

قال جعفر الصادق عليه السلام : عند سجود العارف لذي

(١) السباط كقطام : داء الحمى •

المعارج يرفع الحجاب ، فترقى القلوب الطاهرة الى سدة سدره
المنتهى ، فيتجلى لها أنوار القدس ويفتح لها أبواب جنات حرم
الحق فيعطى ما تريد لمتابعتها لما تريد .
كما تمثل فيه بعض أهل التوحيد :

أريد عطاها وتريد منعي فترك ما اريد لما تريد
واذا صفت القلوب في الصلاة من الوسواس المردلة حظيت
بالمشاهدة لرفع غمام الغم وظلم الوسواس عن عرصات القلوب
فهناك تشاهد الافلاك والاملاك مثل ما نظمه القاضي البستي :
رؤية الحق بالعمى عن سواه وعيون ترون به ستراه
هو في الكل ظاهر غير ان اللهو بالعيش والهوى ستراه
وسأضرب لك مثلاً فأقول : ان القلب كروضة فيها شجرة
فان أراد احد ان يصلي تحتها فوجد فيها عشاش طيور بزغازغ وهدير
منعته عن لذة قراءته ومناجاته ، فان تشاغل بطرد الطيور فاته
الوقت ، فلا سبيل الى وجود اللذة الا قطعها . وانت قد غرست
في قلبك شجرة حب الدنيا وملأت الشجرة بوسواس اكتسابك
وهيك وغمك فان قطعتها صفى حالك وعظم اجلالك وتجلى
جلالك كما قال الجنيد :

تركت هم الدنيا فصفى عيشي وتركت هم الآخرة فصفى قلبي

والسر في الصلاة انما هو تقرب كتقرب الخادم الى المخدم
اذ يراه في قوايب الذل والانكسار وقد قال بعض المنجمين هذه
الخبرة بنوبة كل صلاة لكوكب والسنن للسادس والوتر للسابع
فيها ينال الغرض وقد ترجم عنه كتابه اذ يقول تعالى : « عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا » وهو معنى قول سقراط : اشتباك
نعمات الاصوات من هياكل العبادات تحل ما يعقد في الافلاك
الدائرات اذ باب خواص الادعية مفتوح ترجم عنه القرآن « اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » وصفة داود مع
المزامير معروفة كان اذا عرضت له حاجة جاء بزهاد المجاهدة واقامهم
في محاريبهم ووكل بكل واحد منهم صاحب مزمارة ليقطع بلذة
نغمته قلب المصلي عن الشواغل فتفرغ لحاجة داود فتسرع الاجابة
كاجابة الاستسقاء والسحر المعمول به المتأثرة من الهمة والله يعلم .
واعلم ان الاوزان القلبية لا تطهر الا بطهارة المحل فاذا
ارتفع السد من القلب بانت موازين معارف القلوب وامتد فيها
صراط الحق وفتحت أبواب جنان المعرفة بالله وبانت أنفاس حميم
حب الدنيا كما قيل :

هناك حميم أنفاسي حم يسها جنة فيها الحمام

فاذا كان على هذه الوتيرة فاجعل حوائجك من مولاك في خدمتك
وتطيب بطيب المعرفة والبس ثياب شعار الندم وضع خدك على

تراب التواضع • واعلم ان لكل شيء وزناً ووزن الشعر بعروضه
واوزان المميز بالنظر وأوزان المأكول والمشروب بالكفتين والقبان
والفريطون وميزان الذهب وميزان الصوفية لآوقات النهار وميزان
الخطب بتعديل الكلام وميزان القيامة بقصاص الأفعال فكفة
ظلمة ظلمك وكفة أخرى نور طهارة أعمالك فأعلم حالك واستقم
في أحوالك فابراهيم لما بانه ميزان النظر قال بطريق التشكيك
هذا ربي فلما استقام بين كفتي الاحوال قال وجهت وجهي •

المقالة التاسعة عشر

في خواص الأشياء ومعرفة حقائقها

اعلم ان الخواص غير محصورة وليس لها تأويل يحلها فتؤخذ
بذواتها كالصبر المسهل والسقمونيا والشيء المقبض فليس علينا
ان نسأل لم اسهل هذا وقبض هذا فكيف نعرض طبيب الشرع فيما
جاء به من التحليل والتحرير او ليس حجر اليشم يذهب النفخة
فكيف تشك في شفاء خواص القران وما فيه من التحرير وفيه
قوارع مخصوصة لمعاني مخصوصة ، مثل سورة الواقعة للغنى
والمال ، واذهاب الغم بسورة الدخان ، ورفع البلاء والتحرز
بسورة الكهف وخاصيتها فما استطاعوا ان يظهره وما استطاعوا
له تقبا ، ولا يجوز قراءة الآية وحدها الا باضافة السورة اليها

كما قلتم لا يجوز استعمال الادوية المفردة .

مسئلة في تعجيز المنجم تقول يا حكيم هذا النجم الفاعل المتصرف في العبد المولد في نقطة الكرة كيف تصرف فيه بطبعه أم بجنسه أم بخاصيته فان قلت بالطبع فالطباع مختلفة وهو يولد ما يشبهه كالنار للحرارة وان قلت بالجنس فذاك سماوي وهذا ترابي وان قلت بالخاصية فالخاصية عرض لا بقاء له وان سلمنا اليك بالخاصية فهل هي في نفس النجم أم في نفس الشخص فلا بد من الكشف والتبين واقامة البراهين أما السحر فهو عمل وكلام قد تداولوه بينهم في أوقات معلومة وطوالع معروفة وطلسمات مضروبة من الاجسام أو من الحروف فاذا أردت ان تولد طلسمًا يصلح لما تريد فخذ من كل ثلاثة أحرف حرفًا فاذا اجتمعت لك في التأليف ثلاثة احرف من تسعة فهو طلسم يصلح لما تريد فانظر في الاسطرلاب عند ساحة التأليف فهو يصلح لما دلت عليه الدقيقة من الساعة ومثاله ابث فتأخذ الجيم والثا اليق عوضا عن الجيم ج ح خ ص خذ الصاد ض ط ظ خذ العين فيصير عقربا لتدوير الحروف فضع صورتها على خاتم والقمر فيم العقرب تكف خاصيتها عنك أذى النساء وترمي الخاتم في الماء فينفع سقياه الملسوع وتلقى به سؤيين من اردت وترش من مائه على سطح المبعض أو

طريقه أو داره فانه يستنصر من سنة وخذ صورة اسد والقمر في الاسد واقشه على خاتم بسواد ومعه كلمة « وهي آتينا طائعين » فتدخل به على الملك فيذله الله لك .

ذكر كلمات تذلل الملوك « ألهم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » ذل البحر لبني اسرائيل شأهت الوجوه فهم لا يبصرون ولا يعقلون ولا يسمعون . ذكر كلمات يأمن بها الخائف من السلطان بقدره الله لا اتزال تقول وانت داخل اليه أو قاعد عنده في نفسك يا قديم الاحسان باحسانك القديم .

ذكر كلمات تعقد بها لسان السلطان تقول عند الدخول عليه : « اليوم نختم على أفواههم ولا يؤذن لهم فيعتذرون صم بكم عبي فهم لا يرجعون ولا يعقلون » .

ذكر كلمات تفرق بها بين جماعة فاسدة تخافهم ، تأخذ أفرادا من شعير حرام وتقول عليه اربع مرات ها طاش ما طاش هطاشنة ^(١) وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، وترميه من حيث لا يشعرون وتنظر ما يصنع الله .

ذكر ما يبغض بين الشخصين يكتب على بيضة وتشوى وتطعم بمزقناهم كل ممزق وحيل بينهم قطعاً بغضا . ويكتب على

(١) وبمسخة أخرى لمطاش ما طياش شنه .

بيضة مخيط عليها بخام مضيق سبع صادات وتوضع في مجرة ملة^(١) فانها تشتوي ولا تحترق الخرقه وتطعم البيضة للسحوم تنفعه وكثيرة مثل هذا وقد اختصرناها وشرحناها في كتاب عين الحياة وهو صغير الحجم كثير الفوائد وفيه المقالة الالهية التي هي سبب الجمع بين الاجساد والارواح بطريق بعث الاكسير واعلم ان الصناعة الالهية لا تخلو ان كانت فتكون وان لم تكن فليس بصحيح لأن جماهير الناس أجمعوا على انه ان كانت فلا شك ان تكون ودلالات المنقول والمعقول قائمة دالة على الجواز للمنقول قوله تعالى ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله وقوله قال انما اوتيته على علم عندي •

وأما المعقول فقد دل عليه عمل الصابون فانه جامع بين الاضداد ماسك الطباع الدهنية والمائية والنارية فلما حصل تجميده على تجميده دل بتجميده على تجميده ولو لم تكن صناعة صحيحة لما كان الابريز كثيرا لبعد المعدن وهي حالة مصنوعة كسائر المصنوعات وقد ضاع العالم فيها وضيعت الاموال في تحصيلها فلم يظفر بها الا الرجال الافراد المطلعون على علوم خواص النبات وخواص الحيوان ولكن ياموسى لابد لك من خضر يعلمك معنى خرق

(١) مل الشيء في جمر النار أدخله فيه •

السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار فبعد معرفة الخصال الثلاثة حصل له كشف الكنز ، وكان تحته كنز لهما فاذا خرقت سفينة الصنعة وقتلت غلام الزبيق الآبق حتى يصير ماء زلالا فاضف اليه جدار تصعيد الزرنخ فاذا صح لك قوامه وملكت اكسيره فهي الحالة الفضية ولكن بشرط نشر الفلوس الرومية حتى تصير على هيئة التراب فتوضع وزنا بوزن فبعد حسن السبك وقوام كلس التصعيد ، صارت الارض فضة يتخذ منها دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين •

واعلم ان الزرنخ اسم مركب فأوله زر بالعجمية فاذا صح لك قأنخ بجمال غنائك على باب استادك ومعلمك وسر بذى قرنين عقلك الى مغرب الشمس الذهبية عند عين حيوان من نبات طأطأ . فيياضها للابيض وصفارها للاصفر هي دواء العيون اذا نامت العيون ، ثم سر الى مطلع شمس حرارة الزبيق الآبق وحصله فاذا بلغت بين السدين انفخ عليه من نار لطيفة طيبة فاذا صح اكسيرها أو لم يصح فارجع الى حل الطلق واعلم ان هذا المطلب من أمهات المطالب ، قال علي عليه السلام من حل الطلق استغنى عن الخلق فان صح لك هذا فهو اكسير اللؤلؤ الكبير فحصله فأنه موجود وان لم تقدر على تحصيله والعمل به فقد ذكرنا طريق

علاجه في كتاب عين الحياة فعليك بمداراته والصبر على اعبائه •
واعلم ان هذه الصناعة هي صناعة ربانية لا يقدر عليها الا
الابدال والرجال الابطال الذين اكشف الله الرين عن عيون قلوبهم
وهذه لا تصح الا للطابع الذي يريد به عوناً على الآخرة أو وفاء
دين أو دفع شين وهي حريزة عزيزة ولها اربعون صناعة قبلها
ليكون عوناً عليها مثل عمل الاكحال والابراد والادوية والدوائق
ونحن ذكرنا خواصا دالة مظهرة لبدايعها وصناعاتها في كتاب عين
الحياة وملاكها الاكبر هو تصاعد الزرنیخ ومعرفة اجزائه وزمانه
المعتدل الصالح النافع للابدان غير مضر من حر وبرد •

وهذه الصناعة الفضية التي يسميها ارباب الصنعة (القمرية)
قد تعمل فيما يتصعد من اكسير بياض البيض واصلح ذلك هو
الزرنیخ المصعد قواما معتدلا ووزنا واحدا معروف الصفة فافهم
واعرف زمانه المعتدل وخف عليه من الحر المحرق والبرد المزق
المفرق فتريبته كترية الاطفال مفتقر الى الاعتدال فابده أولا
بصنایع الابرار والاكحال مثل الغريزي الصغير والكبير والجلء
الصدفي وبرود الحسك وبرود المياه وهو ان يجتمع المياه مثل
مياه التفاح والحصرم والرمان وتضيف اليه عرق المامبيرون وعرق
الريح ودواودي جعفران وبهمنی سهر وماء الرازيانج وتوتياً

اخضر رقيق وهو المراد من الصنايع فاذا صح هذا كله فاجبله بهذه المياه مع ماء الرازيانج وماء الحسك ثم نشفه بين الشمس والظل فاذا مسكت نفسه وزالت رطوبته فاعمل منه فصوصاً فهذا هو التوتيا الهندي الذي يساوي مثقاله مثقالاً ولا بأس معه بماء الماميثا وماء حي العالم فهذا هو البرود الجامع والجلء النافع والتوتيا الهندي القاطع فان عملت منه شيئاً وهو رطب حار فهذا هو كيمياء الابرار وبه يحصل لك ان شئت مكسباً تستريح من تعب غيره .
واذا أردت عمل الادن خذ ما شئت من الادن الخرق الصحيح وتضيف اليه لكل جزء ثلاثة أجزاء من شمع صافي وتطبخه بنار لطيفة بقدر ما يمتزج وتحطه فهو الادن وكل مصنوع لا بد له من خمير خالص وهو اكسيه .

صفة عمل الزعفران تأخذ اصغر لحم البقر وليكن من فخذة لا سميناً وتطبخه بالخل والزعفران ثم تبرده وتغسله فتصب شعرات زعفرانية ثم تضيف الى كل أربعة أجزاء جزءاً من الزعفران الخالص .

فأما عمل المسك والزبادة تأخذ من الخالص خمسة أجزاء وتضيف اليه مثله من الخبز المحترق او الكبد المشوية المحترقة او جزءاً فارة مسكية من كل واحد جزءاً يضاف الى الجزء الاصلي من

مسك اوزباد فهذه الاشارة كافية ان عقلت بصدق العمل فقد
قالت العرب لقمة من القدر تكفي لمن يشم الرائحة ، وفضل لقمة
يتحتم لمن يكن شبعان ، والصنایع مغطاة فاذا كشفت بان سرها
والعجائب ظاهرة • وقد نقلنا كثيرا منها في كتاب عين الحياة •

اعلم ان الاجسام مشاركة في هيوليها ومبادئها قابلة لصور
مختلفة حسب التربية والتغذية فالمسك هو من دم مجعد غزالي
بحري يأكل من اطايب الافاوية الساحلية كالفلفل والقرنفل وغير
ذلك وقد قيل في العنبر انه يتبع من عين بارض مدينة عنصوريا ،
والكافور هو من عين فيعجن العنبر باوراق بحرية بين اشهب
وابيض وما شئت من الالوان وقد نزل من السماء عشرة أشياء
كالمن والشيرخشت والترنجبين واللاذن وقيل هو عين في جبال
مرعش •

وينزل من السماء القطر مع السحاب يضاف اليه شيء من
الزوابد فيطبخ بماء الشعير فيسقى للمرأة التي لا لبن لها ولا
حيض فتحيض هذه ويدر لبن هذه وقد ينزل من السماء ضفدع
أخضر يصلح للبواسير ، وقد ينزل من السماء بارض سقسين
حنطة حمراء لينة باردة على طعم الزبد والعسل والثلج اذا أخذ
من دقيقتها وكحلت بها العيون المعيوبة زال عيها ومن هاهنا أخذ

من أخذ واذا بخر بعضها تحت أحد ابصر الملائكة وبه يبخر لعطارد فيكلمه ، وقد قويت عزائم المنجمين بأن الانبياء بخرُوا فالكليم بخر لزحل اول ساعة من السبت ، والمسيح بخر للمشتري ، وابراهيم بخر يوم الاحد للشمس وللنار يوم الثلاثاء ، وقد بخر زرادشت للمريخ وعطارد في الاثنين والاربعاء وقد بخر نبينا (ص) للزهرة يوم الجمعة ولاجلها اختفى في جبل حراء فكانت تأتية في صورة جبرئيلية وهو تمثال لدحية الكلبي . ومن أراد ان يبصر الجن مشاهدة ومصادقة ومخاطبة ويسمع كلامهم ويعينونه على ما يريد ، فليقرأ سورة الجن في بيت خال من يوم بظالة في أحد او اربعاء وبين يديه بخور اللبان ، ويخط له مندلا يقعد فيه ولا ينقطع عنه البخور وهو يقرأ « قل أوحى الي انه استمع نقر من الجن » اربعين مرة وهو يسألهم ويحدق اليهم فاذا خرجوا اليه لا يخافهم ويستخدم منهم من شاء على ما يشاء من سحر وطمس وهياج وتسخير واظهار كنوز وحب وتبغيض . واعلم ان من الخواص النباتية ما يطول شرحه ويتخير فيه العقل ونحن نشير الى بعضه من أراد ان لا يبصر ولا تراه العيون فليزرع الخروج عند بذور زراعة القطن في رأس سنور اسود فاذا طلع خيط عليه كيسا ويربيه حتى يجني القطن ثم يقطف

العنقود كما هو بكيسه ويشقه في حجره ويأخذ مرآة بيده ثم
يقطف منه حبة حبة ويضعها في فمه وينظر صورته في المرآة فأني
حبة لم يشاهد فيها نفسه عند نظر المرآة فليمسك عليها .

ولهم الابهر الضم وهو نبت في الارض على صورة ابن آدم
فهذا يصلح لمن علقه على نفسه لو مر بحجر لتبعه الحجر .

ولهم حشيشة تسمى بحشيشة الراسن تبخر من اوراقها
على اسم من تريد فيأتيك وان لم يرد ولكن بشرط ان تقول هذه
الكلمات على البخور تقول : يا جامع يا جن اجمعوا وقدموا لاق
لاق عاجلا عاجلا اشروثا اشروثا كيبيا ال صبي^(١) اثيا كرها أو
طوعا قالتا آتينا طائعين) وليكن في يوم الاحد أو اربعاء وحشيش
الراسن هذا يعمل منه شراب يسمى شراب الملائكة يصلح لارباب
الاخلاق السوداء ويصلح للنساء العجفات من شدة الحرارة
وتجفف ورقه ويعمل منه برود يصلح للعين التي ارتخت اجفانها
وقد يعمل منه دواء يقوي اللثة وقد يبخر منه تحت صاحب الحمى
فيبرء او يبخر تحت النساء ذات المشيمة المعلقة فتتزل وقد يسلق
ورقه بالخل مع ورق الزيتون فينفع الاسنان الضاربة .

ولهم نبات لا اصل له في الارض وهو على هيئة العنقود

(١) وفي نسخة اخرى كلبيا ال صلي .

على شجر البطم والبلوط ويسمى حب العصفور ويقال له حب
صيد العصافير يصلح بخوره للبيوت ، خاصيته طرد الشيطان
ويبطل السحر المدفون مثل مشاقاة الشعر المعقد وبرادات الامشاط
والاوتار المعقدة ، فهذه دخل السحر على محمد (ص) ولهذا قال
صلى الله عليه وآله وسلم ضيعوا مشاقات الشعور فيها يعتقد اكثر
السحور ، واعظم العبر في الاولياء والابرار التي تترك قريب النار
يا عايشة وعزيمتها عشر آيات من آخر سورة الرعد .

وهذا الحب المذكور يعمل منه التد فيؤخذ منه جزء وجزء
من عروق القسط وعروق الزعفران وشيء من برادة العود القماري
ويدق ويطبخ جميعا الا حب العصفور فيطبخ جميعا بالماء الورد
الجيد العرق للغاية ، فاذا تحول وصار طينا يحط الى الارض واذا
برد عمل منه التد على ما تريد .

أما صفة عمل الدرائق النافعة فقد سبقنا الى ذكرها وعملها
ولكن أقرب ما تأخذ هو ان تضيف البندق المدقوق مع الجوز
واللوز والسهم القليل والفسق فيعجن جميع هذا بالعسل
الشهد مع قليل من ماء الورد ويرفع ففيه منفعة وخاصة لسم
العقرب وفيه خاصية للوقاع ، وجوف الجوز الهندي الجديد على
الهريسة والحنطة نافع في الوقاع ، ويصلح لمن وثبت عليه الارياح

الباردة ، أما الدرياق الاكبر فهو اربعون حاجة مع لحوم الحيات مشروحة في كتاب عين الحياة •

واعلم ان في النبات والادهان والحيوان ما يطول شرحه وفي خواصها آيات للمتفكرين لكني اذكر لك عمل اساءة وهي الطنبوب تأخذ من بصاصات الربيع ما تريد وبأسهم من تريد في ساعة محمودة فتضعها في قارورة زيت بأعلى النار فتعلمه ظنبوب ان شئت حبشية للبغض وان شئت قرشية للمحبة وان شئت فارسية للسultan وان شئت كرمانية للخروج من المضرة والامراض وتعلقها في الشمس وكلما تقصت تزيدها دهنا ثم تتركها في نافذة ظاهرة وتربيتها وتخدمها وتبخرها وتقول عندها في كل يوم هذه الكلمات وأنت تبخرها (أيها الطنبوب الطاهرة كوني لما أريد) وهو يبخرها ولا يبخرها الا طاهرا لا حائضا ولا جنبا فهي تنقص عند نقص الهلال وتزداد بزيادته ، فهذا من جملة الخواص الدهنية ، وفي الدهن ما يطلو به الجسم فلا تعمل فيه النار •

وفي الاحجار ما يعمل منها فاس وقدوم ^(١) فاذا تقر به لا يسمع صوته وفي الاحجار ما اذا وضع في التنور سقط خبزه وقد عرفت خاصية المقناطيس ومن خواصه تقوية ابدان المصارعين والحمالين وذوي الاعمال الشاقة وأما خواص الحيوان فتطلبه في كتابه •

(١) القدوم : آلة للنحت والنجارة ج قدائم •

المقالة العشرون في عزائم التسخير

تقف أول ساعة من يوم السبت مستقبل الغرب بثياب سود
أو زرق بأبخرة مذكورة مثل اللبان والجرمل وقشور الرمان
والخردل البري ثم تقول في وقت سعيد من تثليث أو تسديس
مناطق الى شرف فتقول *

أيها السلطان الاعظم والملك العرمم مالك الفلك التابعة له
النجوم الخاسف المزلزل زحل انت اشرف الكواكب وسيدها
وقائدها ومؤيدها اسئلك ان تعطيني وان تمنحني ما يصلح منك
لي * وتقول يوم الاحد عند طلوع الشمس وانت مستقبلها بهمة
مصروفة اليها « أيتها السيدة الرفيعة والملكة المطيعة والمديرة
الكبيرة التي جادت بفيضها على الظلم فصارت أنوارا ذاتها طاهرة
وسلطنتها قاهرة أسئلك ان تعطيني ما يصلح منك لي واصرفني
همتك الي فانت الملكة العزيزة والسلطانة الحريزة بحق من
سخره وهو الملك العظيم » *

وتقول أول ساعة من يوم الاثنين مخاطبا القمر « أيها الكوكب
الازهر والقمر الابهر البارد الرطب الحال في الفلك المعتدل البارد اللطيف
اسئلك بحقك وبحق الملك المعطيك من نوره اسألك ان تعطيني

• ما يصلح منك لي •

وتقول في يوم الثلاثاء مخاطبا المريخ « أيها السلطان الحاد
النوري الناري النوراني المزعج المدهش أنت بهرام السلطان صاحب
السيف والسفك ذو الحربة النارية والفتن الارضية صاحب الحرب
والسلاح والدم أسألك بحق سلطنتك ودولتك وقهرك ان تعطيني
ما يصلح لي منك •

وتخاطب يوم الاربعاء العطار فتقول « أيها الملك اللطيف
الشريف والكوكب الكاتب الحاسب العالم مرازج الفلك ووزيره
وملاطفه ومشيره بلطافة اخلاقك وطيب اعراقك وحسن سمتك
وصفاتك الحميدة واخلاقك المجيدة الحسنة الطيبة اسئلك ان
تعطيني ما يصلح لي منك ولتكن على الماء في مرج من حشيش
اخضر وهواء لطيف بنفس فرحة وريح طيب وانت متصف بصفات
الكتاب •

وتبخر في يوم الخميس للمشتري فتقول في دعائك أيها
الكوكب الدين الصالح التقى الرفيع البديع المطيع السميع السريع
الذاكر الشاكر الناصر والحامد الباهر الخائف المستغفر عندك
اكثر احياء الاموات والذي يبرء من كل داء اسألك بحق دينك
وأماقتك ومودتك وطاعتك ان تعطيني ما يصلح لي منك •

وتقول في يوم الجمعة مخاطبا للزهرة ، ايتها النفس الطاهرة
والزهرة الزاهرة الباهرة ذات الموهو والطرب والرقص واللعب
والشرب والاكل الفرحة النزهة الناضرة المزيينة الطائفة لربها الحرة
الطاهرة اسألك ان تعطيني ما يصلح منك لي .

فأما يوم السبت فهو مخصوص عندهم لموسى لانه زحلي
والاحد مخصوص بسليمان وجماعة من الانبياء وصاحبته الشمس
وفيه يتبخر الملوك لها ، ويوم الاثنين هو للقمر يصلح للوزارات
والوزراء ، ويوم الثلاثاء للمريخ وفيه بخر ابراهيم الخليل ، ويوم
الاربعاء لعطارد وفيه بخر زرادشت وهو نبي المجوس صاحب
كتاب اوستاوسبطا .

ويوم الخميس مخصوص بعيسى وأما يوم الجمعة فهو لمحمد
صلى الله عليه وآله وسلم ، فالذي يطلب من زحل وهو كيوان
مثل المنافع الارضية واطهار الكنوز وشق الانهار والاشجار ،
وأما يخص الشمس فمثل الملك والمملكة ، والقمر لائق بالوزارات
والمريخ بالحروب والبأس ، وعطارد المكتابة والنقش والحساب
والهندسة والعلوم والدقائق والعزائم ومخاطبات الجن كما سبق
ذكره ، وأما المشتري فهو للزهد والديانة وحل الطلسمات السماويات
ثم الجمعة للزهرة وقالوا انما امر باجتماع الخلق عند نصف النهار

في هيكल العبادات لاجتماع خواص الانفس ليؤثر في حصول المطالب لشرف نفسه الفياض منه على تابعيه من قولهم في لحظة واحدة اللهم صل على محمد وآل محمد واعلم ان ادعية الكواكب لها تأثير عظيم اذا كان على ما ينبغي •

واعلم ان الناس قد اختلفوا في الخاصية كما ذكرناه في أول الكتاب ، وخواص النبات والحيوان كثيرة وقد ذكرنا منها فصلا طويلا زائدا خارجا عن الحاجة •

المقالة الحادية والعشرون في التوحيد

لما كان حد الكلام ما أفاد مستمعه وجب ان نعلم كنه قولكم منكم على وزن عقائدكم التي تزعمون ان الكلام قائم في النفس ثم تقولون انه آمرونا هي وامره ونهيه في نفسه فكيف يسعني ماهو في نفسه وبأي طريق يصل الي فان قلت الهاما فهو مخلوق أحدثه لك لتفهم مالم تفهم وان قلت بكتابة فهو نوع مفاعلة فقد ضيق عليك خصمك والجنك الى القول بالحرف والصوت وهذا كنا في غنى عن ذكره بحكم قاعدة التحرير للحروف المغنية عن سواها •

ولما كان طلب علم التوحيد فرضا وجب ان نشير اليك ببعض

ما أودعناه في كتبنا من التوحيد فنبهه أولا بذكر الصانع .
اعلم انه لا ينفك مصنوع عن صانع وهذه الصورة الانسانية
الالفية الشكل التي قد أودع صانعها فيها بدائع العجائب مما في
السموات والارضين تدلك على عظمة الخالق ولطيف صنعه ،
فأرأسك سماوات جسمك والعينان نجومان
والوجه فللكها وشمسها وقمرها (لقد خلقنا الانسان في أحسن
تقويم) ثم الماء المنقسم المختلف الالوان والطعوم ، بين المرو والمالح
والمتن والعذب ، ثم الجسم فيه ما في الارض ، فالمنكبين جبالها
والعضدين والساعدين اشجارها والاصابع اغداقها وشعورها
خواص نباتاتها واسنانها قواضب ولسانها ترجمان الملك والمعدة
طباخها وفيها قاسم يقسم الاغذية على جند العروق ودمها وشعرها
وبشرها ، فمن غليظ دمائها واخلاطها يعاد به الى تربية جسمها
فهو لمارق ودق ، ثم المبتغي ينزل بطريق التقسيم الى أسفل فقار
الصلب فينطبخ بالحرارة الغريزية فيصير الدم ماء ثخيناً أبيضاً على
وصف ما ذكرته الفقهاء ، فاذا كمل طبخه احدره وكيل الحرارة
الى خزانة الاثنين فامتلات به عروقها فتصور خيال المنكوح في
نفس الناكح واثارت ابخرة حادة في ينابيع عروق القضيب ورواصفه
فبزته قوة الشهوة من فم القضيب الى المحل القابل في أرض خزانة
التصوير ، فتناولته يد القدرة بواسطة الحرارة الى درج التعيين

قياسا بالزرع في الارض وتعفين ما يراد به التصعيد لطلب تحصيل
الاكسير الذهبي والفضي مثل الملك والفقير، فسبقت سوابق النحوس
والسعود عند نزول النطفة في قرار مكين ثم ينتقل الى العلقة
فتزينه القدرة بلطائف شمس الحرارة الغريزية حتى اذا صار
جسدا سويا منتقلا عن صورة تشبه الزبور أو نفاخة السك
ثم يصير مخطوطا بمراسم كمال التصاوير فينفتح مصاريع صورة
بنكام (١) القلب على هيئة تجويفه واتقانه فعند ذلك يكشف له
أنوار الروح بخار متصاعد وهو الروح عند الطبائعيين ثم هو
الروح الدموية ومنه احداث الحركات .

أما النفس اللطيفة العزيزة المتخذة من نفس كلمة كن ،
فهي وراء هذه الحجب المذكورة اللطيفة والابخرة المصورة وهي
النفس العالمة المحققة المدركة اللطيفة الربانية الحساسة
المتكلمة العارفة العالمة الباقية بعد الموت كما كانت قبل الجسد
في مبدأ عالمها فاذا تكمل اجل ميقاته التحق ثانيا بعالم القدس
واخرج من بطن أمه بغير احسان ، كما يخلق ويقبض وينشر على

(١) البنكام بالفتح والسكون ما يقدر به الساعة النجومية
من الرمل (كذا) عربيه اهل التوقيت ، واستعير هنا لشباهة دقائق
الساعة بنبضات القلب .

غير اختياره قياسا بالنوم والاتباء وهذه النفس هي الملك القاعد على سدة القلب وهو الأمر والنهي والعقل حاجبه والعلم وزيره والنفس سراجه والتصديق منهاجه والقلب بحره والحكم درره ويواقيته والجسم بلده وعرصته ودستاقه والاعضاء جنده والوساوس اعداؤه ، وفيه الملائكة المصورة من حسن الاقوال والافعال وفيه الشياطين الرادعة عن الخير والقلب عند العارفين هو العرش والصدر هو اللوح ، والهام الامر والنهي هو القلم الساطر بالخير والشر على سطح اللوح ، والحاجب والترجمان هو اللسان ويحمل عرش القلب ثمانية فاربعة حواس من ظاهر موصلة اليه انواع السمع والبصر والشم والذوق واربعة من باطن هي العلم والعقل واليقين والتصديق ، وتخف به ملائكة الخوف والرجاء فاذا تنزهت عرصة عرش القلب الذي هو بيت الرب عن الوساوس والردائل وطيب بطيب الذكر من مجامر طهارات الفكر استحق تجلي الجلال بأنوار الكمال على جنباته وعرشت معرشات المحبة على كرسي طهارة الجنان ويكون المعشوق على سدة سدرة الوصال وجلس تحت أشجار حكم المجاهدة وشرب من حوض تشريح الصدر بنور التوحيد فألبس خواص خصال الحمد من خزائن الديمومية وشاهد ما لم يشاهده الغافلون (ان هذا لهو الفوز

العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون) :

وخبرت عن ليلي بان حديثها ومجلسها يزداد طيبا على طيب
فلما تلاقينا وجدت حديثها يزيد وينمو عن صفات الاعاريب
كذلك نور الشمس زاد حرارة اذا ماتت عن سحابة شؤبوب (١)
ثم تقعد أيها الكامل بالعلم والعمل المتصف بالاخلاق الحميدة
والمنزّه عن الاخلاق الذميمة فيشار بك الى كرسي الكمال فتسجد
لك بالطاعة ملائكة اعضائك فيفتح لك يد الملائكة أبواب جنة
جناتك وتتجلى لك حور حسان احسانك وقصور تقصيرك عن
مجة دنياك ، وعلى قدر همتك تبلغ منك ، ثم يتجلى لك آدم بدنك
ونوح نياحك على خطائك على نفسك وخليل خلّتك بحسن جلالك
ويعقوب عقوبتك لنفسك بعد ذبحك لنفسك وشهواتك وموسى
صفاء حالك وداود دائك وسليمان سلامتك على بساط انبساطك
ومن جن اعضائك وريح ريحتك الطيبة بحسن المجاهدة ، ثم يظهر
لك خضر ايمانك عند عين حيوان حياتك مع الابرار ويأخذ ذو
قرنين عقلك بزمام علو نفسك وهمتك الصافية الى عين مغرب
شمس ايمانك في غوصها لبحار الشهوات ثم يعدل بك الى مطلع
شمس عقلك من فلك الى فلك ثم يوقفك بين السدين من غفلتك

(١) الشؤبوب الدفعة الجديدة من المطر .

وشهوتك فافتح زبر حديد جهلك واذ به بمنفاخ المجاهدة حتى تجد
أعضاء النفس والقلب مختلطين من مزج التوحيد كل منهم يلتقط
من ثمار عرايس المجد المجليات في خدود كحل النوم التي قد
صنعتها مواشط الآداب في خدود الاسباب المنزه عن العذاب
والعقاب (هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب) حور كواكب اتراب
قاصرات الطرف عن كل مراتب الحالفة الا تذوق طعم المنام الا
عند لقاء الاحباب شعر :

طرق الخيال وقال لي يامدعي أtnام ليلا بعد جيران النقا
فاجبته والقلب في اسر الهوى من شدة الهجران نارا مقلقا
لهم على العهد بعد فراقهم الا انام الى أوان الملتقى
ثم يتجلى لك عيسى لذة عيشك وحياتك ومحمد حمدا
بلطائف أعمالك وهذا معنى قوله (ص) (اعرفكم بربه اعرفكم
بنفسه) فأنظر الى ملاحظة تلويحه على القلوب الكريمة الطالبة
لمعنى سر الروح التي ما غلقت اسرار معارفها الا عن الجهلة والعوام
فهي اشارات تنطق بلسان العشق ألا ترى الى عشاق الله تعالى
كيف يسترون عشقه بذكر غيره ، ألا ترى الى المجنون كيف كان
يستر عشق ربه بذكر ليلي وشاهده في شعره موجود من قوله :
لما رأيت الحب يدهشني ونمت على شواهد الصب

أوقعت غيرك في ظنونهم : فستر وجه الحب بالحب
 طلعت شمس وصالكم سحرا : حراقة والشوق في قلبي
 فاهتز غصن الوصل من طرب : وتساقطت ثمر من الحب
 وغدت خيول الهجر شاردة : مطرودة بعساكر القسرب
 وبدت شمس الوصل خارقة : بشعاعها لسراق الحب
 وبقيت لا شيء أشاهده : إلا ظننت بأنه حي
 قيل للمجنون أي وقت تحب من الزمان فقال الليل قيل وما تحب
 من القرآن فقال سبحان الذي أسرى بعبده ليلا وكان يتبع الملاحين
 ويخدمهم لانهم عند مد الجبل يقولون ليلا ليلا .

يا أخي اصول هذه الخلعة الكافية أليس فيها دليل على
 وجود الصانع القديم ، وإن كنت في شك فانظر الى بناء النحلة
 كيف تبدء بنقل الأزهار ثم تبدو بالبناء ان شئت مسدسا أو مربعا
 وتبنى الحائل بين كيران العسل بالشمع ثم ترش عليه من شراب
 السماء فان الجو لا يبرح نديا في خليتها فاذا عبثت بأكوارها
 القراضة ^(١) سفظتها لأن لا يتبين العسل في خليتها فيهلك .

أفترى هذا الإلهام بعد تبذير القراضة من عملها والمأماها

(١) القراضة نوع من السوس — العث وهي تضر كور النحل

كما تضر الصوف والخشب .

فان قلت ان الهامها نفساني فهلا الهمت نفس غيرها بكسبها .
 ثم انظر في كسب النملة كيف تشق الحبة خوفا ان لا تهلك
 ثم انظر الى نسج العنكبوت وتعبها للشعرات صيدا لوقوع
 الذباب : أفمن ألهم هؤلاء ليس لصانع الخالق فسبحان صانع
 المصنوعات وقد نظم أبو نورس أبياتا في التوحيد يستشهد فيها
 على ثبوت معرفة الصانع :

سبحان خالق خلق من ضعف ماء مهين
 يسوقه من قرار الى قرار مكين
 يدبر الامر منه في الحجب دون العيون
 حتى بدت حركات مخلوقة من سكون

وقد عمل ابو العتاهية الزاهد في ذلك شعرا :
 فياعجبا كيف يعصى الاله أم كيف يججده جاحد
 والله في كل تحريكة وتسكينة أثر شاهد
 وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
 يا هذا وفي المنظورات والمسموعات والمقروات والمكتوبات
 والامثال والآيات دلائل على وجود صانع المصنوعات فانظر الى آيات
 سورة النمل وأوائل الذاريات والمرسلات والنبأ من قوله ألم
 نجعل الارض مهادا أو آيات التوحيد في سورة الحشر والحديد

فسبحانه هو القديم الباقي وحده في جميع مصنوعاته ولا شريك له في ارادته (الحي العليم العزيز الحكيم السميع البصير المرید المتكلم بكلامه القديم اسمع وافهم كل ما كان ويكون فهو في لوحه وبقلمه ، فأخذ به يا أخي تسترح واكتف به تفلح وتاجر معه تربح وعند الصباح يحمد القوم السرى ويتجلى عنهم غناء الكرى .

المقالة الثانية والعشرون في وجود العالم

اعلم ان العالم مخلوق خلقه الله لا حاجة اليه بل لتبين سلطنته وقدرته فاول ما خلق الله العرش والكرسي والسموات والنيران والجئات والارضين وجميع الكائنات من أصل درة يسميها الفلاسفة العقل الفعال والنفس الكلية فمن بخارها ودخانها انعقدت السماء ، ومن زبدتها تجمدت الارضون بالرياح على الماء قالت الفلاسفة هو فيض فاض عن العقل الفعال والنفس الكلية ، فالعقل عندنا هو العرش والنفس الكلية هي اللوح ونفس الفيض هو جريان المقادير .

وهذه عبارات واصطلاحات لان المرجع في الفيض واحد وما شرعت العبادات والصبر عن الماء البارد وصوم العجيز عبثا

وانما له سر وهو ان فوقنا فلكا ناريا وفلكا هوائيا ، فمن اعتاد عادات العبادات قطع بصبره فلك النار والهواء فوصل الى مكان الاعتدال منزله عن البرد والنار مجاور لاشباح الملائكة النورية الفياضة عن العنصر الاعلى وجاور اصحاب المعارف واقلب الى أهله مسرورا فهي الجنات والنهر نسيما معتدل وبقاؤها دائم في جوار الواحد الصمد ، هذا لمن زهد في دار الغرور ومال الى دار الانابة والسرور ومن كانت نفسه معلقة لما خلف وترك فهو الطائر المصاد في الشراك المحجوب عن الملك والفلك ، فمن تركها تحت قدمه ولم يحتجب بعشق شيء منها راح مكرما معظما تتلاقها الملائكة بتباشير البشارات ويشاهد صانعه فمع المشاهدة يزول غيائه تعبته ويحصل مقاصد راحته ويبدل باهله اهلا صالحا مما يتسناه (عربا أترابا) ويضرب بينه وبين من فارقه حجاب النسيان (وننشئكم فيما لا تعلمون) •

فهذه حالات الملائكة المنزهين عن المأكول والمشرب والمنام وهي حالات النفس الطاهرة المسبوكة بنيران المجاهدة والمصفاة بالعلوم والاسرار عن كدر عشق الاغيار •

وأما النفس الخبيثة المقيدة بحب الدنيا المنهكة في المأكول والمشرب وسائر اللذات البهيمية فهذه تنفصل عن عالم الجسم

الى ظلم طبعها بما اكتسبته وهي محجوبة برين ما فعلته ومقيدة تحت
ما خلفته ، تهم بالارتقاء فيحجبها قيودها لانها مرهونة بسظالمها
كل امرء بما كسب رهين ، فهي كالاعشى الضارب بعصاه بين
القبور ربما يطيح ويعذب بين الفلكين الحار والبارد حتى يغلب
عليه القدر والمشية ، وكلما طال المدى عليها تلاشت محجوبة
عن اللذات السرمدية والمنافع الابدية فلا عذاب اعظم من هذا ،
تلسعها عقارب افعالها وافاعي جهلها وهي محجوبة عن نور
جوهر عقلها وتسمع الخطاب عن رب الارباب (اذهبتم طياتكم
في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) الآية هذا وانت مشغول مع
زهديك بالنعمات والالاحان أترى اعطيت الامان بالكلية حتى
تفرح وتمرح وما قرعتك الموعظة (ذلكم بما كنتم تفرحون في
الارض بغير الحق وبما كنتم تفرحون ان الله لا يحب الفرحين)
فاشتغالك بخلاصك أولى بك :

اذا أنت لم تمهد لنفسك موزعا فانت عليها بالنجاة بخيل
وتزعم ان اشتغالك بهذه الاشياء هو عين العبادة وتتعلم
بسماع احاديث لاتعرف باطنها وربما تغتر بعملك الخالي من
نور العلم هيها ت فان العلم بلا اصفاء ووعاء ترهات لا تدعي
الزهد وتسلك طريقا غير المستوى وتزعم انك صالح بلى صدقت

للفريات وانت غافل عن معرفة خواص نفسك ، أما علمت ان شعرك
يسحر وعض سنك يكلب ومن بخار فمك يهرب ودهنك يقتل (١)
وقلامه اظفارك تهلك .

كم في الحيوان من خواص لا تعرفه مثل مرارة الدب
للسمن وشحمها أيضا ، ولحمها مع تحريمه يذهب بالارياح ، والاكباد
الارانب تنفع الاكباد وعيونها للعيون وشحمها للارياح ويصلح
دمه طلاء للبهق والكلف في الجلد وشحم الخنزير يجعل في علف
الدواب ودهن البيض للشعر ودهن الشوك والحنطة للشواليل ،
وشحم القنفذ للارياح ، وقصبة السكر للطحال وزنا وسفا ، ومخ
الحمار قاتل ، وفي الهدهد منافع ذكره صاحب كتاب الحيوان
والجوز الهندي في الهرايس نافع للجماع ، ومعالجين وأدهان
لقيام الذكر .

والحرارات الغالبة قاتلة وهكذا البرودات ، والماء عقيب
الطعام متلف وحقن البول اتلف والفصد محمود والحجامة احمد
والقي ينظف المعدة والقليل من لباب الخيار نافع ، والسوداج
للمبرود أجمل ، والحنطيات لصاحب الجماع يغني ، واكل
الهرايس افضل وشراب الرمان محلل الطعام في المعدة والبطيخ

(١) الفتيل ما فتلت بين اصابعك من الوسخ .

فيه عدة فوائد : مطعم مشرب وريح طيب ومقارن للحصى ، ومدر للبول ويغسل المثانة ويذهب مع القي الخلط ، وفيه اربع مضار ينشف الحلق ويزيد الصفراء ويورث الحكاك ودفعه بالسكنجبين والقاووت المحلى يقطع الشهوات ويعصم ويسمن مع الريح الطيب وخير الفواكه انضجها واجودها قبل الطعام الا الكمثري (١) فقليله نافع بعد الطعام وتقليل الزاد أجود لعينك عن صفة الطيب والجوع درهم أو أقل خير من التخمة وقد تصعب مداواة المتخوم ويكره تعجيل الماء عقيب الطعام ويستحب امتصاصه ويكره عبه ، واكل الحوامض في الصيف أنفع والسوداج في الشتاء ، وانفع الفواكه المغذي مثل التين والعنب وانفع الرمان الملاسي قليله بعد الطعام أو عند النوم وهو مضر لاصحاب الجماع لا سيما حامضه .

المقالة الثالثة والعشرون

في الاشربة

اعلم انه لا بد لك من تعديل مزاج مطية نفسك وهو البدن بالاشربة الملائمة .

فأما السكنجبين فهو أول ما صنع لذي القرنين واجوده

(١) هو العرموط وبالفارسية كلابى .

المعتدل وهو يصلح لقطع البلاغم والمواد الصفراوية وشراب الرمان صالح لتبريد الكبد وشراب الخشخاش والبنفسج واليلوفر فوائدها في الرأس وشراب الراسن ^(٢) يعمل في الخلط السوداوي حتى زعم أبو نصر الفارابي انه يغني عن المفروح الصغير .

وأما شراب الورد فهو يسهل الخلط الصفراوي فان اعنته بدرهم ونصف تربد، ودرهمين سورنجان فيكون سفوفا تستعمله قبل شراب الورد أو بعده .

وأما الربوب: فرب السفرجل يعصم المحرور، ورب التفاح يعمل في الخفقان الواردة عن ضعف القلب اذا كان من حرارة، ورب التوت فخاصيته في الحلق .

وجميع الاشربة والربوب فالغنى عنها بالحمية مع العود الى العادة القديمة كما جاء في الحديث المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد، ولا بأس لمن اعتاد الشربة ان يتعهدا عند الحاجة اليها .

قال أبو طالب المكي (رض) لا تتعرضوا مع العافية الى

(٢) الراسن نبات طيب الرائحة طويلة الاوراق جدا .

الدواء فربما يفضها •

وشرب الدواء في الخريف أولى من الربيع لقربه من المأكّل التي تحدث السهولة وأما البقول فأنقعها الهليون ^(١) والاسفناج روى ابن قتيبة أن النبي (ص) قال اربع حشايش من الجنة يقطر عليها في كل ليلة قطرة من ماء الجنة وهي الاسفناج والهندباء والهليون والخس ففي الهندباء تبريد وفي الاسفناج تليين والهليون يقوي آلة النسل والخس يولد دماً صالحاً واقنع الهليون ماعمل بساخ البيض والزيرباج واقنع البيض مخاخه واجود الخيار ، القليل من باطنه ، وأما الكرفس فان قليله يفتح السدد وقد يتبرك به الناس في بعض البلاد ، والسداب قالوا يورث الجذام اذ أصله من خرؤ الذباب • وأما التين فقد •

قال (ص) كل التين رطباً كان أو يابساً فانه ينفع في الجذام والنقرس والبرص •

زعم بعض الاطباء ان في التين خاصية قطع الناسور ويدر دم الحيض واقنعه الصغار الازرق البالغ واكله على الريق اقنع وآخره أجود من أوله ، واول البطيخ أجود من آخره ، وخيار

(١) الهليون نبات يحمل ثماراً حمراء مزينة الشكل من فصيلة الزنبقيات •

الخريف يورث الحصى، وريحان الخريف يورث الزكام، والشرب في كوز الجماعة يورث الآلام وسره من تأثير ابخرة الافواه، وحقن البول يورث حصاة المثانة وشرب ماء بزر البطيخ يعمل في عسر البول وجهه اذا دق مع الكشنة أو العدس ينعم البدن ويزيل الزهكة . ويكره الغسل في الحمام بالعدس والمواضع النجسة ويجوز الغسل بالعدس في الاواني ودلوك الاسنان ينشف رطوبات الابدان ويسمن ويسمر الالوان .

ومعجون السمسم فيه ترطيب الشعر وتنعيم البدن ، وشقاق القدمين امان من الجذام وآكل اليقطين يعمل في الخلط السوداوي وحلاوة القرع تزيل التجفيف .

والزيرباج ^(١) فاعدل الالوان لكن بشرط أن يضاف اليه الخشخاش المروض واللوز المحمص المدقوق مع الدارصيني والزعفران يحل بماء الورد والعسل ويوضع في رأس البطيخ هذه حيلتهم على السكنجيين وانفع الحلوى ما كثر خبزه وارطبها حلوة البيض والقطايف اميرها، والمسير ^(٢) ثقيل في المعدة واجوده السهل الناعم مثل الصابونية والكافورية ، وأما خييص اللوز

(١) الزيرباج طعام يستعمل لقصد المنفعة واللفظ معرب .

(٢) المسير نبت بري ينقع في الخل .

فثقل وأجوده الناضج الكثير الخشخاش ، وأما الهرايس فأجودها
أنضجها وأخفها لحما من العنز والضأن •

قال صلى الله عليه وآله وسلم شكوت الى أخي جبرئيل
ضعف الوقاع فأمرني باكل الهرايس فوجدت لضعفي جبرا •
والاكثار من لحم الدجاج يورث الحرارة في الاطراف
والمأمونية بالخروف المشوي اجمل لكنها اثقل هذه اشارة الى
الادوية والاطعمة وانفعها ما دام وقل ، والاغذية المختلفة على
الموائد من سيرة المترفين فقد قدم عثمان بن عفان الى النبي
صلى الله عليه وآله وسلم قطايفا بالقند والفسق ودهن القرغ
ففرغ وجهه (ص) ثم قال آه من طعام المترفين وحساب المسرفين
وقدم قعب من حليب وتسر الى النبي (ص) فقال كليه يا عائشة
فالسمن لكن اليق ، وكان يقتات بعسل العرطف ^(١) والمغافير •

المقالة الرابعة والعشرون

في صفات العاشقين

اعلم انه من ترك شهوات الدنيا وهو قادر عليها كتب له
من الاجر ما لا يعد والسرفيه انه اوقع بينه وبين نفسه فسكت
(١) العرطف كقنفذ شجر يسيل منه صمغ المغفور وهو لعاب
لطيف حلو غير ان رائحته كريهة •

عن اللذات والشهوات •

فاذا فارقت هذا العالم الخسيس والجبس المظلم والجسد
المغتم لم تتأسف على مفارقة المحقورات فهي رقت الى عالمها
وشرفت بعلومها المرسومة المنتقشة فيها مثل علوم التوحيد وهو
العلم بالله بالبراهين العقلية والعقلية فيحدث به لك جناح تخرق
به عالم الملكوت اذ الارواح ثلاثة ، نفس العارف والناسك والزاهد
اذا اجتمعت خلالها الثلاثة فلا يضرها الموت ولا القوت لانها
كاملة رقت الى عالم الكمال فهي تحظى بما ليس في الجنة من
المقامات العلوية والانوار القدسية في الحضرة الصمدية مجاورة
للملائكة الروحانية تجتمع اليها وتسمع عليها من العلوم المودعة
عندها فهي تنفصل عن عالم الكون والفساد وتلتحق بعالم البقاء
الذي ليس فيه نقص ولا نقاد اذ يقول تعالى أعددت لعبادي في
جنتي ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر •

اعلم ان هذا الحديث يدل على ان وراء نعيم الجنة المحسوسة
نعيمًا لا تدركه النفوس الا مع المشاهدة فهذا مما يعجز عن صفة
مشاهدته لانها لذة ذاتية تجوز عن حد التعبير والتفسير كما لو
قيل للعين عن لذة الجماع لما عقل ومدرك اللذة لا يقدر على
تعبيره فهذا لا يدركه الا شاهده وهو النظر الى الله الكريم وانت

تريد ان تعرف لذة المشاهدة من غير ابصار كما لا ينتفع الجبان
بذكر الحرب من غير مشاهدة ولا واقعة وكيف تطمع مع الغفلة
رفع الحجاب وقد سمعت ان زين العابدين عليه صلوات الله كان
اذا قام في صلاته يرفع السد بينه وبين محبوبه فيطوف بقلبه في
عالم الملكوت الاعلى وهو معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام
لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقوله (ع) سلوني عن طرق
السموات فاني اخبركم بها •

وأنت أيها المبطل الغافل عبد نفسك واسير شهوتك وتريد
ان تلحق بالابرار والمقربين او تطعن مع حجتك وجهلك في كرامات
الصالحين :

تريدين ادراك المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من ابر^(١) النحل
تريدين ان ارضى وانت بخيلة فمن ذا الذي يرضى الاحبة بالبخل
فجاهد ولا تجاهد واركب فرس حسن ظنك واقطع الغاية
حتى تكون آية والبس ثوب الشقا ان احببت اللقا ، وارض
بالعيش الطفيف ان احببت ان ترقى في عالم المجد الى قلة حمى
الملكوت •

قال صلى الله عليه وآله وسلم ظفر الزاهدون بعز الدنيا

(١) يريد به لسعة الزنبور •

ونعيم الآخرة قيل ان المجنون سلم على ليلى فأبت رد السلام فقال لها ولم فقالت أخبرت انك نمت البارحة لحظة ولو كنت صادقا لما نمت عنا فقال عسر علي زيارتكم فأجيبته ان اراكم في المنام فنمت ، فقالت له ليلى كان شخصي قد زال عن قلبك ومثالي قد انمحي من خيالك فقال اعرضت عن المثال واشتقت الى التمثال ، فأثسدت ليلى :

لم يكن المجنون في حالة الا وقد كنت كما كانا

بل لي عليه الفضل من أجلا باح واني مت كتما

قيل للنبي يا رسول الله ان كثيرا وهندا ماتا في حبهما فقال صلى الله عليه وآله وسلم عجزا عن حمل المحبة فماتا ثم قال لعائشة حبي لك يورثك شوقا وفقرا فقالت أو أبقى بعدك لا كنت ان بقيت فقال ستبقيين ولكن تشقيين حتى تلقين *

وقال يا عائشة اذا مات الزوجان المتحابان ينتظر أحدهما

رفيقه كاتظار الغائب *

ترى يقدم الغياب حتى نراهم وتأخذ شوقا منهم أو نأنس

لقد ضاقت الدنيا علينا ببعدهم وغصصت بالماء الذي أنا وايس (٢)

لئن غبتهم عن ظاهر الامر بيننا فما أنا الا للمجسدة دارس

(٢) الويس ما يطلبه الانسان *

إذا ماجلسنا نذكر البين بيننا تضيق القوافي منكم حيث نجلس
لما احتضر الصديق قالت زوجته وافرأقه فقال الصديق
بل أنا أقول وافرأه بقاء الاحباب ، فلا تخف الموت ان كنت
مشتاقا الى أحبابك فلا بد من اللقاء في دار البقاء فشمّر عليك
وقدم بين يديك ، عساك تنظر بسهرك فمن ادلج بلغ المنزل ومن
جعل الليل له جملا قطع عليه مفاوز الهلكات •

قُب وثقا بالله وثبة ماجد ترى الموت في الهجاء جنى النحل في الفم
شق الجنيد جيبه لما سمع صييا يترنم ويقول أرى زماني
يسر بالحرسة وينقضي بالمغالطة وقد تركني بحال مالي حال •

إذا صحت الاعمال وطببت الاجسام وسهر العاشقون وقللوا
الزاد والرقاد فتحت أبواب بساتين الاشتياق وبزغت شمس
المعرفة وازهرت مظاهر القرب من وراء الحجب واشرقت هياكل
القلب من أنوار جمال الرب ورفع الحجاب وقطعت الاماني وفنادى
العاشق بمعشوقه كاشف بالكائنات وشاهد حقائق الموجودات
واحظ بأنواع المكاشفات واثّر عليك ثار الكرامات وابشر بأعلى
المقامات •

قال أبو الحسن النوري دخلنا على أبي يزيد البسطامي
فوجدنا لديه رطباً فقال كلوه فإنه هدية الخضر جاء بها من عند

رسول الله صلى الله عليه وآله وانا ما طلبتها الا من الله تعالى حتى اكلها على يدي الخضر ثم دخلنا عليه في الجمعة الثانية فوجدنا بين يديه رطباً في طبق ذهب احمر فقلنا ما تطعمنا منه فقال لا هي لي ولا لكم فقلنا كيف حديثها فقال كنت قاعدا بالليل آتلو القرآن فسمعت خذ الهدية منا لا واسطة بيننا .

واعلم أيها الغافل المحجوب عن لذة المعرفة ان احباب الله يتدللون عليه كما يتدلل المعشوق على عاشقه كما قالت رابعة (١) الهي بحق ما كان بيني وبينك البارحة اجمع اليوم بيني وبين شيخنا يونس بن عبيد فدخل يونس فقال يا رابعة ضيغت دعوة فيما بيننا لا بد ان يكون ، فقالت يا شيخ دع عنك هذا فاين آثار دلال الاحباب وافت تريد سببا بلاش فهذا طلب الاوباش قال الجنيد لرجل يعطى اجرة عماله اما تعطيني معهم يا شيخ فقال الرجل يا احمق تمنى نفسك بالبطالة لو عملت لاخذت .

وقد جاز الشبلي بدار فسمع الزوجة تقول لزوجها لا منته عليك الا بقدر فعلك تريد بلاش عناق وزقاق فقال الزوج الكسل

(١) هي رابعة العدوية الزاهدة الناسكة المعروفة واصلها

يعمل أكثر من هذا وانشد :

قد فاتني مقصدي فذبت جوى حاطت لدينا مصائب الكسل

لو عملت لرضيت غني خليلتي •

المقالة الخامسة والعشرون

في المأكّل والمشرب وآداب المائدة

اعلم ان الله تعالى خلق هذه الصورة الادمية وجعل لها غذاء وهو سبب ابقائها فالناس فيه ضروب طائفة تقنع بالقليل من المأكّل وهي القناعة التي يصلح ان يكون منها متعبدون وهي شبيه الملائكة بخصالها وخلالها ونومها ومأكّلها فكلما قل الغذاء كنت مشبها بسكان السماء وثمرته العافية والغنى عن الطيب ومن قلة الاكل يحصل رقة القلب وقلة المخرج •

فمن كانت همته ما يدخل في بطنه كانت قيمته ما يخرج منها ، والاقلال من الامراق والفواكه اسلم واعلم ان كثرة المأكّل ككثرة الرفاق لا تربح من كثرتهم خيرا ، ألم تر الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يجمع بين الادامين فهذا فيه زهد وطب •

ومن البطون بطون نارية تأكل ما يلقي اليها والنار لها سبعة أبواب وللبطون مثلها مثل باب الحرص وباب الشره وباب

النسيمة وباب شدة الجوع وقلة المبالاة بالخطايا ، والمأكّل الحرام
أشدّ الذنوب واعظمها •

وللجسد سبعة أبواب دالة على أبواب جهنم مثل السمع
والبصر واللسان والبطن والفرج واليدين والقدمين فهذه أبواب
السعاية الدالة على القبائح ، واعظمها البطون واعظم الافعال
القبیحة مظالم العباد قال النبي (ص) من أكل لقمتين من الحرام
حجبت دعوته أربعين صباحاً ، ومن ملأ بطنه كانت النار أولى به •
وعمل الحرام مثل المال المنصوب والسرقة وأخذ العشرة (١)
والجناية على الناس وقطع الطريق وقبول الرشوة والاجارات على
الطاعات وجزور الحرام وأجرة الحجامات وأخذ ما لا يستحق
حتى نوبة الماء ، وأنواع كثيرة ذكرناها في كتاب الإحياء من
الحلال والحرام •

وأما مكاسب الحلال فأصلها هو المباح مثل بيع العفص والبلوط
والمنّ والحشيش والحطب ، وأما الصيد ففيه كلام بين العلماء
فتركه أجمل ، وعملك بيدك مع النصيح أحلّ وأنفع •

اجتمع أبو الحسين النوري وأبو يزيد وسفيان ابن عيينة
(١) العشرة : مهنة العشار ، وهو الذي يأخذ واحداً من
عشرة جباية من الناس •

فأخذوا ببعض أجراتهم خبزاً وتصدقوا بالباقي ، فلما قعدوا لأكل الزاد قال سفيان : هل تعلمون منكم النصيح في الحصاد ؟ فقالوا : لا نعلم . فتركوا الخبز مكانه وراحوا .

واعلم أن سر الحرام غامض تكشف بعضه فنقول : إن الصانع واحد والخلق من فيضه ، فالمتعدي على بعض أجزاء الفيض يسري بعدوانه الى الكل ، كما قال تعالى في القاتل « فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » .

والقياس اذا قال الرجل لزوجته « شعرك طالق » سرى الطلاق في جميع جسدها ، وهكذا اذا تصدقت فقد أرضيت به الصانع والمصنوع ، واللقمة الطيبة — وهي الحلال — أفضل عند الله من صدقات كثيرة ، فاذا أردت الأكل فكل ما دنى من الأرض بالأصابع الثلاثة بعد الجوع وقم بعد الشبع واقعد كقعودك بين يدي شيخك للتعليم .

واعلم ان الله سبحانه وتعالى قد نزع البركة من الطعام الحار وفي المأكول الحار أربع مضار : يهدم الأسنان ، ويصفر اللون ، ويذبل الكبد ، وربما يخاف عليه من أذى المصران .

واغسل اليدين قبل الطعام وبعده .

ولا يجوز أكل المنتن للزوجين الا باذن بعضهم بعضاً ، والسر

فيه أنه يورث النفرة بين الزوجين ، والريح الطيب مؤلف ومحجب بينهما •

وترك غسل اليدين يقلل الثوب ^(١) ويولد رائحة كريهة على ما ورد أن الشيطان يسترضع اليد ويستحسن الصورة فيألفها • ولما كان المقصود من الحلال تصفية القلوب وتقليل الذنوب صار طلبه فرضاً كفرض العلم ، فإن العلم إذا لم يدل على خير فهو ضرر •

وفي الحديث : من أكل الحلال سنة كشف له عن طراز العرش وصفت أنوار خاطره ، وهو كيمياء السعادة الأبدية ، تشرح به الصدور وتصفو به أنوار المعرفة ، وتنجس في القلب عيون الحكم وتكشف غشاوة الغفلة ، ويرفع سدء الغرور فيبين صفاء سماء التوحيد ، وينكشف له عن اللوح المجيد فيسمع بأذن صفاء خاطره هدير تسبيح الملائكة المقربين •

واعلم أن النفوس لا تكون مرهونة بعد الموت إلا بمظالم العبيد ، والسر فيه مطالبة حاضرة بين غريمين بين يدي حاكم عدل عليهم باق ، والمساواة واقعة بين العبدین « الا من أتى الله بقلب سليم » • ومن تخلصت نيته عن المظالم انفك عن قيد النفوس (١) أي يولد القمل في اللباس والبدن من الوسخ والدسم •

فصارت روحه الى أين تختار ، ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم : « ان الأرواح لتزور بيوتها وأهلها ، فان رأيتهم بخير شكرت والا نفرت ، وهي تنادي : يا أهلي اياكم والدنيا فلا تفرنكم كما غرتني » •

وهذا هو سر ندامتها ، وأما الأرواح الطيبة من الدنس والآثام والمظالم فهي تطير اينما شئت واختارت على صور ما ذكرها الناس ، اما جوهر أو هيئة ملك أو جسم لطيف ، والكل مدرك حساس عليم بمفارقة الجسد •

فبقدر انتقاش علمك يا هادي سيرقى العليم فوق الجهول وفي الحديث : ان ردء درهم مظلمة أفضل عند الله من أربعة آلاف حبة مقبولة ، فاذا كان حجبك واجتهادك خوفاً من الآثام فاقطع أصولها لكي تسترح •

المقالة السادسة والعشرون

في تهذيب النفس

اعلم أن نفسك هي أشد عداوة لك كما في الحديث : نفسك التي بين جنبيك هي أعدى عدوك ، تدعوك الى الويل وترشدك الى الضلال وتوقعك في الدناءة وتدعوك الى اتباع الهوى وتوقعك وتطمعك وتهلكك وتملكك ، فاقطع خصالها وخالها وشرها

وشركها وطمعها وولعها وشبعها ، ففي الحديث الصحيح : إن الله تعالى لما خلق النفس قال لها : من أنا ؟ فقالت : وأنا من أنا ؟ فعذبها بأنواع العذاب ، فكلما قال لها : من أنا ؟ تقول : وأنا من أنا ؟ حتى عذبها بالجوع والتواضع فقالت : أنت الله الذي لا إله إلا أنت .

فنفسك زنجية تطالبك بالشهوات ، فإذا شبعت طمعت وإذا عصيت رفضت ، هي الموقعة في البلايا وهي أم الرزايا ، هي الذئب الكلب والأسد الحرب والكلب النهم والعدو القرم ، داؤها كثير ودواؤها قليل ، وأعظم تراقبها المخالفة لسواها .

إذا طالبتك النفس يوماً بشهوة وكان عليها المخلاف طريق فخالف هواها ما استطعت فإنما هواها عدو والخلاف صديق ولا يجد المريض حسن الشفاء إلا بالصبر على مرء الدواء فعذبها بما تهذبها ، فإذا عزمت على تهذيبها فاضربها بسيياط تعذيبها واقمع بالتواضع كبرها واطبخها بنار الامتحان ، واجعل العلم لها سيد الأخدان والعمل الصالح لها مولى الخلان ، وتعلم الاخلاق اللطيفة واكتسب الأعمال الصالحة ، والطف واطرف وتكاس ولا تتأيس .

واعلم ان الله لطيف وليس من شأن اللطيف أن يعذب اللطيف

والمهذب لنفسه ومعذبها بنيران المجاهدة •

واعلم أن الخير عادة والشر لجاجة ، قربها بالنوافل وهذبها

بين يدي شيخك بالسمع والطاعة •

واعلم أن حرمة الشيخ أعظم من حرمة الوالدين ، فالشيخ

هو الوالد على الحقيقة والمرشد الى الطريقة والمخرج للمريد من

ظلم الجهل الى نور المعرفة والى السعادة الأبدية والنجاة الحاصلة

والالتحاق بالملائكة ، لأن الشيخ هو الطبيب للذنوب ، وأما

الوالدان فهاجت نيران شهواتهما لقضاء الوطر وجنيت أنت من ثمار

الشهوة بما تقدمت نيتهما بإيجادك عند الوطي ، فكأننا سببا

لاخراجك من ظلم العدم الى ظلم الجهل ودار المكابدة والعناء

فقد أجادا تقلا وقصرا عقلا •

أنشد المعري لنفسه وأنا شاب في صحبة يوسف بن علي

شيخ الاسلام :

أنا صائم طوال الحياة وإنما فطرى الحمام ويومذاك أعيد

لو فزت من صبح وليل لارتقى

شعري وأيدني الصديق الأيّد (١)

قالوا فلان جيّد لصديقه كذباً أتوا ما في البرية جيد

(١) الأيّد ككيس : القوي •

فأميرهم فال الامارة بالخنا ونقيهم لسلامة (٢) يتصيد
كن من تشاء مهجناً (٣) أو خالصاً

فاذا رزقت حجي فأت السيد
والله ما سمعوا مقالة صادق الا وظنوا أنه متريد
هذا الشعر في بحر لزوم ما لا يلزم •

ومن علامة علمك انهم اذا هرجوا لاتلتفت واذا مزحوا
لا تنزل واذا كابروك لا تحول ، وكابد نفسك عن المزاينة
والمصايحة ، فالكبر مطية النفس ، فاذا أردت الغاية الكبرى في
تهذيبها فاقصرها في بيت أربعين صباحاً أو أربعة أشهر وهو الأفضل
واقطع كأنك ميت ولا تبق لك حاجة ، وحصل من الزاد ما وافقك
وأعانك كما تحصل لطريق مكة • ثم اركب مطية متابعة الشرع ،
ثم سر في فلوات قمع النفس ، وليكن البيت مظلماً والزمان في
الشتاء أولى ، ولا تأت بغير الفرائض من الصلوات ، ولا تنم
الا عن غلبة ، وكل ثلثي أكلك بعد الجوع ، ومقداره من اللقم
الوسيطه ستة وثلاثون لقمة •

(٢) الصلابة : الفرقة من الناس ، الرجل الذليل المهان •

(٣) المهجن والهجين : عربي ولد من أمة ، ومن أبوه أشرف

وليكن ذكرك « لا اله الا الله الحي القيوم » فاذا كلَّ اللسان
فقل بقلبك ، ولا تخف من الواردات عليك ، فقد تجيئك صورة
قبيحة وخيالات قاطعة وجن وشياطين وملائكة ومعلمون ، فواحد
يقول اعلمك الكيمياء وآخر يمينك بالكنوز وهذا يوعده وهذا
يهددك ، فلا تلتفت فانه سيظهر لك مع الصدق وترك التجربة
عجائب وفنون .

فعند ذلك تذوب كثائف الحجب عن القلب ، وترفع ستور
الغفلة بين قلبك وبين اللوح المحفوظ فتشاهد ما فيه وتنقل الى
الخلايق معانيه ، وينكشف لك في اليقظة ما كنت تشاهده في المنام
فيستير القلب وينشرح الصدر بأنوار الجلال ، وتنخرق الكائنات
وتنكشف المستورات وتظهر الكرامات التي هي أخوات المعجزات
وبينهما فرق في التحدي والاظهار والاستتار ، بل اذا وصل الى
درجة التمكين صار الكل بحكمه ما شاء فعل أو قال : « واما
بنعمة ربك فحدث » .

وكلما تجده في الخلوة تعرفه شيخك ، فالشيخ في قومه
كالنبي في أمته ، ومن ليس له شيخ فالشيطان شيخه . قال أهل
التحقيق : « ومن مات بغير شيخ فقد مات ميتة الجاهلية » .
لأنه يعلمه ويدله ويعرفه طريق الوصول الى الله تعالى .

وصاحب الخلوة يهب عليه نسيم القرب من دواخل الحجب
وينكشف له أسرار قلوب المخلوقين ، ويزوره الأبدال فتراه فرحاً
طيب الخلق حسن العشرة دعب لعب ، لان الله يكون قد تجلى
بقلبه ، فيسمع كلامه ويبلغ منه مرامه ويكشف شمس المشاهدة
ويعلم المخفيات ويطلع على الكائنات .

ومن علامات الواصل بالله حسن الخلق وكثرة العلم وحلاوة
الكلام والتواضع ، وصاحب هذا الطريق مع علمه العزيز لا عبوس
ولا حقود ولا متكبر ولا ظالم ولا متجبر ولا أكول ولا شرور
ولا نؤوم ، نفسه ملكوتية ، قوى جبرئيل همته ونفخ اسرافيل
سعادته ، في صور همته فحدي به حادي محبته وسار به في بيداء
معرفته ، حتى تجلى له بيت الجلال فانكشف منه خاصية يمشي
بها على الماء والهوى ، ويطوى له بها البعيد .

فاقربوا من أمثال هذا الرجل تكتسبون من قربهِ وفيض
خاصيته ما اكتسبه الهلال من قرب الشمس ، وربما ينتقل أحوال
الأبدال الى التلاميذ والمريدين كما انتقلت النبوة من موسى الى
يوشع بن نون .

واعلم أن هذه الأحوال والمقامات لا يصدقها الا من عرفها
كما لا يصدق علم الكيمياء الا من عالجه وعرفه ، فكل من يكلم

الصانع الواصل العليم فقد هدى ، فان الأعشى لا يبصر القمر ،
والزمن لا يعد وخلف الطريدة ، وأنت تغيب وليس فيك نصيب
ولا أنت محب ولا حبيب • بطنك ملاءة وعينك محيطة ولسانك
معقود وعلمك قليل وأملك طويل وذنبك غزير وربك بصير ،
فاسمع مناديك في جانب واديك : « قل لا تعيي الجرائر حتى
تكوني مثلهم » •

فأحسن الظن فانك قد طرحت فطرحت ، وجرحت فجرحت
ولو واصلت وصلت ، ولو خدمت لخدمت ، لكنك متشبث
بحبل (ط م ع) ، وهي مجوفة خالية من النقط ، فهلكت وما
ملكك وما فاتك فاتك ، والندم تجده عند وفاتك • « واعلم
ان الله مع الذين اتقوا والذينهم محسنون » •
قل للكئيب المعنى الى متى تتعنى

فلا حياتك تصفو ولا بنا تنها
تمت المقالة الأولى والحمد لله رب العالمين ، وتتلوه المقالة
الآخري في السعادات والنبوات ، وهي المقالة السابعة والعشرون •

المقالة السابعة والعشرون في السعادات والنبوات

فقد تشعب القائلون واختلف العلماء : فمنهم من زعم أن

السعادات والنبوات مكتسبة بدليل قوله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » قدّم المجاهدة على الهداية وجعلها مفتاحاً لأبوابها ، وجعل الحركات أسباب الاكتساب ، وليس لأحد فيه مدافعة ولا مشابهة ، والناس في خلاف : فمن قائل يقول ان الافعال لله يسخرها فيما يريد تمسكاً بقوله تعالى : « والله خلقكم وما تعملون » ، وآخر قال ان الافعال للعبد ، ولا خلاف في انها مخلوقة لكنها متعلقة بإرادات العبد وله فيها اختيار واكتساب ، واليه ذهب حملة علم الشريعة ، فلو حرك أحد يديه ثم قال « زوجة المحرك طالق » أوقع به الطلاق باجماع أرباب الفتاوى .

واعلم ان كل شيء هو بعلم الله ، فكلما كان ويكون في الأكوان فهو بعلم الله ومقداره ، ولكن الكلام راجع الى مكتسب النفوس ، فان كان ما يفعله النفس من الشر من الله فكيف يعاقبنا على فعله ، وان كان منا ومنه فالجناية على الفاعلين ، وان كان منا فالجناية علينا .

ألا ترى الى معنى قوله تعالى : « ان النفس لأمارة بالسوء » وقوله : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » أضاف فعل العبد الى الفاعل وأعطاه جزاء اللعن والتخليد ، كما خاطب المتقين « جزاءاً بما كنتم تعملون » .

وأما الأمور السماوية كالصواعق والزلازل والأمطار والرياح
والرعود والبروق والحياة والموت والغنى والفقر والعمى والزمانة
والجنون والجذام والبرص فهذا هو الى الله ليس لأحد فيه مدخل
وانما الكلام في اضافة الفعل الى النفس « لها ما كسبت وعليها
ما اكتسبت » اضاف الفعل اليها كما اوجب الجناية عليها ، فالجزاء
قرائن الأعمال • فانظر كيف اضاف الزنا الى الزاني والسرقة الى
السارق ، وهو بفعلهما عالم والشرح يطول •

فجاهد في اكتساب المعاني فليست تخلو من الفوائد ، اذا
كنت مغالباً بصور صادقة من غير تجربة وامتحان •

فقد اختفى رسول الله (ص) بجبل حراء مدة عشر سنوات
أو سبع ثلاث واكثر الاعداد اصح ، وكان ينزل في أوائل الامر
الى خديجة فيأخذ الزاد ويرجع حتى قال الناس من شدة انقطاعه
ونزوائه : ان محمداً قد عشق ربه • فلم يزل بالالهام والمجاهدة
حتى تخلصت له السعادة الدائمة النبوية وظهرت من أفعاله وأقواله
دلائل النبوة •

فصقالة الذكر عملت في المرأة القلبية حتى تجلت لها الحضرة
الربوبية ، ورفعت أستار الغفلة ، وبقيت النفوس مشاركة لأجرام
الفلك الأعلى ، وازدوجت بالملائكة ، واعتصرت منها أعاجيب

الغيب ، وخلعت نعل حب الدنيا من قلوبها ، وكنت بيت الرب
وقلعت منه حشائش الوسوس .

ولما كانت الشريعة المطهرة نهت عن الستور المصورة عليها
صورة الكلب ، نظرنا أن في القلب عشرة كلاب مربوطة الى جنب
سرير دولة الايمان أحالت بينها وبين ربها والأملأ ، اذ صورة
الكلب تمنع دخول الملك الى البيت الفسيح الرتبة ، فكيف القلب
مع صغر حجمه ، فكلب الحرص وكلب الطمع وكلب الشره وكلب
النسيمة وكلب الحسد وكلب الشح والبخل وكلب الرياء وكلب
النفاق ، وأبو الكلاب هو كلب حب الدنيا وهذه توابعه ، فاذا طهر
القلب من هذه الأجناس والوسوس الخسيسة صحى غيمه وطاب
وقته وتجلى له ربه ، اذ القلب بيت الرب ، واختلط بالملائكة
وسمع خطابها بغير واسطة واستجلب الغيب من وراء ستور الغفلة .
وكان موسى عليه السلام اذا أراد خطاب الله يختفي أربعين
يوماً في عريش ثم يرقى الى مخاطبة الله في الجبل ، وبرهان القرآن
قد نطق بذلك اذ يقول تعالى : « فتم ميقات ربه أربعين ليلة »
ويعضده قول المشرع : « من أخلص لله أربعين صباحاً انفجرت
ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » .

والسر في الحديث الشريف أن جسد الانسان مركب من

العناصر الأربعة ، ولكل عنصر غائلة ، ففي كل عشرة أيام يتطهر القلب من وزر عنصر وغائلته ، كما ان الغضب يتولد من حدة النار وهو الصفراء ، ولذلك قال صلى الله عليه وآله : « الغضب قطعة من النار والماء يطفئها » فاذا غضب أحدكم فليتوضأ » •

وقد سمعت بقصة أمية بن أبي الصلت وما كشف له من الملك الذي عن يمينه وشماله ، ونحن نذكر قصته في مقالة الذكر فقلوه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن عبثاً : « من طلب وجداً وجد » و « بالخدمة تنال المقاصد » •

ألا ترى الى ما يتخذ من الصوف والقطن والابرسم فله قيم متفاوتات ، ففيه ما يساوي درهمين وعشرة ومائة ، فسرّه من الخدمة ، وما جاءت لأحد سعادة من غير تعب الا لنوادر الناس وهذه حالة يشبه حال صاحب الكيمياء ، فالناس لا يتركون مكاسبهم لاجل الكيمياء بل يتطلبون أرزاقهم بسبب الحركات « فأمشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » ، « وسيروا في الارض فانظروا » •

وليس رزق الفلاح كرزق المتوكل المنقطع الى الله تعالى ، اذ قال صلى الله عليه وآله : « لو اتكلتم على الله حق الاتكال لكنتم كالطيور تروح خصاصاً وتغدو بطاناً » •

ولكنك اخدم حتى تستحق درجة الكرام ، فابريسم دودة
القر بعد التعب والخدمة يكون دواج الملك ^(١) ، وكلاب الماء في
بحار السقسين والبلغار لا تخالط الحيوان بل لها مساكن الوحدة
والانقطاع ، وهو الذي يصير جلدها اكليل الملك .

فهذه الاشارات كافية ، ومنها ثارت الولايات للنبوات بظهور
المعجزات ، فصار لكل طبعاً غالباً واكسيراً جاذباً ، فمن أنكر
المعجزات والكرامات فقد فاته صفاء المشرب من حسن الظن ،
ولو انغمس في المجاهدات لارتسمت فيه المشاهدات وصار كله
اكسيراً ذهبياً ، فان الفراش المحرقة نفسها في شمعة السلطان يعجن
جسمها وما بقي من دخانها في شمع قصور الملوك كما قال الناظم :
لاتيأسن اذا ما كنت ذا أدب مع الخمول بأن ترقى الى الفلك
بيننا ترى الذهب الابريز مطرحة

في الأرض اذ صار اكليلا على الملك
وبقدر الهموم تكون الهمم ، فهذه الموارد عند من تعلق
بها تكون سبباً لنيل الأغراض ، اذ ينقلب الطبع بالمجاهدة اكسيراً
فنيال الرتب لا ينال الا بالتعب ، وهذه دواء وعمل يحظى به علو
المنازل لكل من طلب الثواب والثناء ، فاذا فاتك فانما أنت جيفة

(١) الدواج : ما يلبس وما يلتحف به .

تستتر في الأرض خوفاً من ريحك القبيح بأرذل الهمة • وانما
أطيب الأطعمة يجاورك ليلة فيحدث منك ما تأنف منه •
فاتق الله وجاهد ، فلو مت في الطريق فقد وقع أجرك على
الله ، وان وصلت فعليك الجهد للموقوف بالباب ، كما قيل : عليّ
أن أزوركم وما عليّ أن اصل •

وقد ذقت طعم ما تشاهده في المنام من ثمرة المعصية والطاعة
فالليل والنهار خزانتان فاملأهما درا ولا ضرا ، فلا بد من عرض
بضاعتك على الملك فاما واما ، فالبهارج للنار والصالح لخزان
الاخير ، وافضل الاعمال احزمها ، وهذه الاشارة كافية لهذه
المقالة الشافية ، والسلام •

المقالة الثامنة والعشرون في الاذكار

اعلم ان الآيات والاخبار الدالة على استحباب الذكر كثيرة
فمن ذلك قوله تعالى : « فاذكروني اذكركم » وقوله : « اذكروا
الله ذكرا كثيرا » وقوله تعالى : « ولذكر الله أكبر » وقوله : « واذكر
ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو
والآصال ولا تكن من الغافلين » •

(١) البهرج : الباطل الزائف من الأشياء •

ففيها بين المراتب والأوقات ، والذكر الخفي اجمل ، اذ ليس فيه أذى لسامعه ، وهو خالص عن الرياء والنفاق ، مثل صوم السر وصدقته ، والحث عليه كثير :

وقد سئل رسول الله (ص) في رجل يتصدق بمال حلال وآخر يذكر الله من صلاة الصبح الى طلوع الشمس فأَي الرجلين أفضل ؟ فقال النبي (ص) : ولذكر الله أكبر .

وفي الحديث : انه من ذكر الله من طلوع الفجر الى طلوع الشمس فله أجر من تصدق بمائة ناقة حمراء حملها من ذهب أحمر ، وكأنه قد أعتق ثمانية رقاب من بني عبدالمطلب .

ثم الذكر له ثلاث وظائف : فذكر الظاهر بقلقة اللسان فهذا يستحب في التلاوات من هياكل العبادات ، والذكر الخفي هو اكسير العبادات ، وذكر القلب ومنه يحدث الغنى عن العالم والاشتغال بالمحجوب كما في الحديث القدسي « أنا ذاكر من ذكرني وجليس من شكرني ، وحبيب من أحبني ، من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ من قومه ذكرته في ملأ من ملائكتي » .

ثم يحصل من الفناء الاول فناء ثان ، وهو أن تغيب النفس لمشاهدة حضرة القدس ، فيصير الذكر لك عادة وعبادة ،

فاذا كشف الموت عنك أعباء الأثقال عدت في عادة ذكرك مع الملائكة الذاكرين ، اذ الخير عادة ، ويطاف بك في ساحة حظيرة القدس ، وتحظى بقرب من ذكرت ، وهو قرب اكرام ومنزل احتشام ، وهذا الذكر هو القرآن ثم بعده التسبيح ثم الصلوات على النبي (ص) ثم استغفار ودعاء •

فهذه وظائفه فواظب عليه ، فانه يكشف لك من سر الربوبية ما يغنيك عن ملتمس كل حال ، تشاهد الملائكة ويخدمك مؤمنوا الجن وتطيعك أعضاؤك ويزول وقر اذنك فتسمع تسبيح الجمادات « وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » • وقد يحصل من ثمر الذكر أكثر ما مر بك في تهذيب النفوس • ويشمر عليك أيضاً بعض ما أثمر على زين العابدين ذي الثغفات السجاد عليه السلام فانه كان يسجد بين الليل والنهار الف سجدة فأثمر عليه لأنه كان اذا قام في صلاته تنكشف له الكائنات فيطلع على حومة حظيرة القدس •

وبه بلغ أصحاب المقامات درجات المكاشفات والسير على الماء والهواء ، وبه سمت الملائكة الى اعلى قلل الشرف واستحقوا دوام البقاء للتنزه عن المأكّل والمشرب مع مداومات الذكر وشراب الفكر ، وهو التنزيه والتسبيح ، وبه تجذب الملوك الى المتزهدين

وبه تنال مراتب العاشقين ، ويحدث منه خاصية جذب القلوب .
وقد يقف الذاكر الصادق على باب حسن الآداب ويحل
بالذكر طريق الأسباب ، فيخلع نعل حب الدنيا عن قدم إقدامه ،
ويقطع عوسج وساوسها ببلوغ مرامه ، ويقف على طور صفاء
قلبه في وادي تقديس له ، وهناك يسمع كلام ربه « اني أنا الله
رب العالمين » .

ويكفيك ما مرَّ من قصة امية بن أبي الصلت الثقي ، وكان
يترشح الى طلب النبوة ، فقال لأخيه : ها أنا اناام فاصطنع لي
طعاماً . قال : فيينا هو نائم اذ رأيت قد نزل طائران من النافذة
فشق أحدهما صدره ثم أخرج منه نكتة سوداء فقال أحدهما :
أوعى ؟ قال : نعم وعى علوم الاولين . فقال : او زكى ؟ فقال :
لا . فقال : رد فؤاده اليه فليست النبوة له وانما هي لسلالة
عبدالمطلب ، فلما اتبه أخبره بالقصة فبكى وتمثل :

بات همومي تسري طوارقها	أغض عيني والدمع سابقها
مما أتاني من اليقين ولم	أوت براءاً تقض ناطقها
أما لظي وعليه واقدة النـ	سار محيط بهم سرادقها
ام اسكن الجنة التي وعد	الابرار حفت بهم حدائقها
هما فريقان فرقة دخلت	الجنة مصفوفة نمارقها

وفرقة منهما قد أدخلت النار وقد ساءت مرافقها
لا يستوي المنزلان ثم ولا الأعمال لا يستوي طرائقها
تعاهدت هذه النفوس اذا همت بخير عاقت عوائقها
وصدها للشقاء عن طلب الجنة ديناً الله ما حقها
عبد وعى نفسه فعاتبها يعلم ان البصير رامقها
ما رغبة النفس في الحياة وان تحيا طويلاً فالموت لاحقها
يوشك من فرء عن منيته يوماً على غرة يوافقها
ان لم تمت عبطة^(١) تمت هرما الموت كأس والمرء ذائقها
وبها مات مصدوع الكبد ، منعه شركه عن نيل مقصده
و « الله أعلم حيث يجعل رسالته » •

واعلم ان الشهوات قاطعة واللذات مانعة ، ومن رام الماء
صبر على الكدر ، ومن قطع الليل خلس عن حر الطريق ، ومن
جعل نفسه ذليل الشهوات كان مسقطه الكنيف والخلوات ، ومن
قطع العلو بهمة المجاهدات نال أعظم المراتب بالصبر على المصائب
والنوائب ، وما صاحب المأكل الكثير الا ويتخطى سوء التدبير وهو
مستور لا يفلح أبداً •

(١) اعبط فلان : مات شاباً لاعلة فيه •

المقالة التاسعة والعشرون

في تدبير جهاز النفس

قال النبي صلى الله عليه وآله : « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » قالوا : يا رسول الله وما الجهاد الأكبر ؟ فقال : مجاهدة النفس .

وقال (ص) : اعدا عدوك نفسك التي بين جنبيك .

وقال (ص) : بعثت لاتمم مكارم الاخلاق .

واعلم ان النفس أخلاقها ذميمة غير مستقيمة ، فان فيها مع صغر حجمها — كما قلناه — ما في السماوات والأرضين ، وهي النار الموصدة فيها ذئاب الغلبة وكلاب الشهوة وسباع الغضب ونمور المخالفة وثعالب الحيلة وكمين الشياطين بعسكر الهوى ومناجيق الامتحان ووساوس القبيح ، كل هذا مكن تحت قلة قلعة النفوس محيط بربضها وحصنها .

واعلم ان القلب مدينة وساكنها الملك ، وهي النفس اللطيفة المدركة العالمة الطاهرة الربانية الخارجة عن صفة النفخة والمشار إليها بالروح ، وهي مجموعة بالابخرة الظاهرة المتولدة من دم القلب ذي الشكل الصنوبري واللحم المجوف .

وما هذا هو القلب المخاطب ، وانما الروح هي المخاطبة من

قوله : « فاتقون يا اولي الألباب » وقوله : « ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب » ، وهو معنى قوله : « أذن واعية » .
والنفس المشار اليها هي أسيرة الشهوات ، مقيدة بقييد الغفلات ، مشوهة مستورة بالخيالات ، عاشقة للعالم قد أطعمت بنجسها فأصبحت مخبطة سكرى قلقه حيرانه مشغولة بخدمة الجسد التراخي تحمله للكنيف ، مشغولة بتربيته وتغذيته ، ألقته فعشيقته فاذا فرق بينهما تأسفت حتى اذا مرَّ عليها بمثل قدر ما خدمته بطول المدة نسيت وأنكرته ، كأنها ما عرفت ، فاذا ردت اليه فترت حتى تسمع اشارة القدس : « يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك » .

هذا خطاب موجد لموجود غير مفقود ، اذ لا يجوز خطاب المعدم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « تعرض علي أعمال امتي في كل اثنين وخميس » ، فما كان من حسنة أسرَّ بها وما كان من سيئة استغفر لها » وقوله صلى الله عليه وآله : « اشتد غضب الله على الزناة » وقوله : « اكثروا من الصلاة علي فان صلاتكم علي معروضة » .

فأيها المكذب المذبذب الغافل المتأول أراك تعجز الصانع القادر ، وتزعم يا مسكين ان لا عود للأجسام والأرواح الى الصانع

القدير القادر ، اهو ذاك أم غيره سواء ؟ اتعجب عليه وتتحكم وتعجزه في قدرته وآيته ، أفمن ربك في بطن أمك لا يقدر أن يريك في بطن قبرك ثم تقول : اذا اختلطت العظام بعضها ببعض فكيف السبيل الى تخليصها ، فانظر الى الصانع كيف يخلص من التراب برادات الذهب والفضة والحديد وهي أجزاء تعجز أنت عن خلاصها ، فالصانع القادر ليس بعاجز ولا يدخل تحت طوق ما تريد ، وانما أنت عاجز تعجز وتغتر بمقالات أبي علي بن سينا ، أفقد صار عندك أصدق من محمد (ص) فانظر الى فعل هذا وهذا ثم أحكم بالفسق والعدالة وارفع الحكومة الى حاكم عقلك في التصديق والتعديل واحسبهما حكسين .

فان قلت « هذا عقل وهذا قل » فانظر ما يذكرون لك من حوائجك الطبية هلا تسأل عن خواصها وبراهينها وتقول لم يقبض هذا ويسهل هذا ، فيكون جوابك عنده انما أنت معارض لا مريض ، فكيف تعارض طبيب آخرتك وقد كان الذين قبلك أكثر منك فكراً وعقلاً ، علموا أن الاعتراض والتعجيز كفر فأسلموا منه وآمنوا .

فجاهد نفسك واتبع شرعك ولا تخالف نبيك ، وأكرم كتابك فهو هدية الله اليك ، وقبيح بمن أكرمه ملكه بهديته أن يستهين

بها ، وعن قليل تلتقي وتتوقف وتستحي . وعند كرة الروح راجعة الى مبادئها عند بارتها يظهر لك صدق الشرع ، وهناك يتبين غليظ التوبيخ ، والجواهر أكثر منك اذ أنت منخرط في سلك نظام الآحاد لا التواتر وتبعت طاعة نفسك فأردتكم الى البلى والافانظر الليل والنهار والصيف والشتاء والربيع والخريف وتنقل الأحوال فيها واحياء الأرض بعد موتها ، ونومك وانتباهك بغير اختيارك ، وآيات كثيرة أنت عنها غافل .

ثم ارجع الى مجاهدة نفسك بمحو صفاتها الذميمة واثبات صفاتها الحميدة المستقيمة ، فاقمع الغضب بالرضا ، والكبر بالتواضع ، والبخل بالبذل ، والامساك بالصدقة ، والصمت بالذكر والنوم باليقظة ، والشبع بالجوع ، والغفلة بالانتباه ، والخلطة بالخلوة ، والاشتراك بالعزلة ، والمداهنة بالصدق ، والشهوة بالقنع ، والباطل بالحق .

فاذا محوت صفات آفاتك بأن لك عند رفع ستر الغفلة سر . قوله تعالى : « كيف يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير » ، لكنك شيطان مريد وتزعم انك لله مريد ، فأين آثار حلاوة التوحيد ؟!

نام رجل من بني اسرائيل في موعظة داود عليه السلام ،

فأوحى الله تعالى إليه ان يا داود من ادعى محبتي ثم ينام عند ذكرى
فقد كذب .

ولما أمر ابراهيم عليه السلام بذبح اسماعيل عليه السلام في
منامه قال : يا أبت هذا جزاء من نام عن خليله .

وآدم لما نام خلقت حواء ، وجميع ثلثته منها ، قال الشاعر :
عجبا للمحب كيف ينام كل نوم على المحب حرام
واعلم ان قلبك هو المدينة التي أشرنا اليها ، فيتقدم شيطان
تفسك الى تعبئة جيوش الهوى ، وعساكر حب الدنيا ، وتقاب
الوساوس وقاط التمني ، ومشاعل سوء الظن ، ومناجيق المخالفة
وبوق الكبر ، وطبول اساءة السمعة ، وأسياف خيل الشره ،
وزحف رجل المكر « واجلب عليهم بخيلك ورجلك » .

فاذا أحاطت هذه الجيوش بهذه المدينة ولم يكن لها زاد
ولا رجال من الأخلاق الحميدة هلكت المدينة ان لم يدفع عنها
البلاء وسلبت الملك وجربت الديار ونام منها حارس الذكر وتهدمت
أبراج الصدق وقعد شيطان النفس على سدة اسرار القلب ،
وهتك أستار خزائن الأعمال ، ودارت في المدينة عوانية الشك ،
وقطعت أشجار المعاملة ، ونهبت أموال الأعمال ، وأكلت ثمار
الآمال ، ووقع الشك في الكتاب ، ونفرت النفوس عن مصاحبات

الأصحاب ، وعصى كل مولاه ، وتبع شهوته وهواه ، فككبوا على مناخرهم في النار » وقالوا يا ويلنا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار » .

وكلما الناس فيه من التشكيك والبلايا هي الشبه والحرام والا لصفى زادك ونظرت لشرح نور الايمان في شرك وفؤادك وانكشف لك زادك ليوم بعثك ومعادك « هي النفس ما عودتها تتعود » .

واعلم انك بأعمال المجاهدة تهذب نفسك حتى تصير ملكاً روحانياً ، وبمتابعة الغفلة والشهوات تصير شيطاناً رجيساً ، فجاهد النفس الأمارة بالسوء بسحو صفات آفاتهما حتى تصير لوامة ، ثم انقل اللوامة الى مقام المظمنة ، كما ينقل السلطان فراشه الى مقام الكاتب ثم الى مقام الوزير ثم يتصرف مع نصحه في الملك فينظر الى حسناته فيكون عنده سيئات ، وهذا مقام قوله (ع) : « حسنات الأبرار سيئات المقربين » .

والطريق الى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق ، والمقامات تملو مع الأنفاس .

كان صلى الله عليه وآله يعلم من مقام الى مقام ، وهي مقامات الكشف والمعارف ، وبها نبه (ص) حيث قال : « اني

ليزان على قلبي ان لم استغفر الله في اليوم واليلة مائة مرة «
والدين أشد من الغبن •

واسمع نظم أمير المؤمنين عليه السلام في النفس وآفاتھا :
صبرت عن اللذات لما تولتِ وألزمت نفسي صبرها فاستمرت
وكانت على الايام نفسي عزيزة فلما رأيت عزمي على الذل ذلت
وقلت لها يا نفس موتي كريمة فقد كانت الدنيا لنا ثم ولتِ
فلا الجود يفنيها اذا هي أقبلت ولا البخل يبقیها اذا ما تولتِ
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى

فان أطعمت تاقّت (١) والا تسلتِ
فهذبها وعذبها وقربها من بابها ، وانظر مقام الأنبياء والأولياء
فيها ، واغتنم الثواب والثناء ، فما ذكر الصادقين كذكر الفاسقين
« ولتعلمن نبأه بعد حين » • وللقبيح خميرة يتبين بعد قليل ،
والناس نيام فاذا ماتوا أتبّهوا ، ولكنك كالعود النخر (٢) لا تحمل
ثراً ولا تستظل بك بشر ، وكالمرأة القرعاء التي باهت صاحبات
الشعور بشعرها الزور ، فاذا كشف عن رأسها هتكت بين جلاسها •
وأنت رضيت بقعقة ثيابك ونزول ثوابك •

(١) تاق الى الشيء : اشتاق ، فهو تواق •

(٢) نخر العود والعظم : ييس وتفتت •

غداً ترحل القوافل وتبقى على الطريق يا غافل ، وتقعّد بغير زاد وتقول لشاوش ^(٣) القافلة « ارجعوني لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت » ، هيهات غلق الرهن فلا يقال •

قالوا : يا رسول الله ما السر في نقطة دمة الميت على خده؟ فقال : أما الصغير لما يشاهد من حال أبويه في اللوح ، وأما الكبير فيكاشف بأعماله وانتقال زوجته وأمواله •

فبماذا تنبه وهذا الحال أنت فيه وبه ، كما قيل « عود نخر ما يحمل وأقرع ما يتمشط » فأنا أرفعك وهمتك تضعك ولا شك ان الغلبة لك ، فمن كان همته ما يدخل في بطنه كانت قيمته ما يخرج منها •

ان فهمت فاتبه والا أنت ونفسك والخبر « وقد نصحت ولكن لا تحبون الناصحين » •

المقالة الثلاثون

في المحبة والشوق والمشاهدة والمكاشفة والمواعظ والزواج العقلية والنقلية

اعلم ان المحبة جائزة وجارية أولاً بين الله وأوليائه ، وقد

(٣) شاوش معرب « چاوش » لفظة فارسية بمعنى دليل

القافلة •

نوره بها القرآن من قوله : « والذين آمنوا أشد حبا لله » وقوله :
« يحبهم ويحبونه » •

فان ثارت نفسك الخبيثة فقلت : كيف تحب من لم تره وليس
من جنسك ؟! فاعلم انما تحب الصانع لما يظهر من حسن صناعته
فانظر الى بساطه وما فيه من بدائع النقوش والخضر والأشجار
والثمار والأنهار ، والى الفلك وما فيه من الليل والنهار وشموس
وأقمار وكواكب كبار وصغار ، فهذه آيات صناعة الصانع ودالات
على استمرار وجوده ، فسبحان صانع المصنوعات •

وترتيب نفسك — إن عقلت — أعظم مما رأيت وما سمعت
والذي يدلك ، وهو من أقوى الدلائل في محبته ، هو لذة سماع
كلامه ، اذ هو معجز لا نظير له ، ومنه يستدل على محبة المتكلم •
أما سمعت نظم الشعراء :

وكأب قالت لأترابها يا قوم ما أعجب هذا الضرب
أيعشق الانسان من لا يرى فقلت والدمع بعيني غزير
ان كان طرفي لا يرى شخصا فانها قد صورت في الضمير
وأشد الشيخ أبو العلاء المعري رحمة الله لنفسه :
يا قوم أذنئ لبعض الحي عاشقة
والأذن تعشق قبل العين أحيانا

ان العيون التي في طرفها مرض

قتلنا ثم لم يحين قتلنا

يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به

وهن اضعف خلق الله أركاناً

وأما الأخبار فكثيرة قد ذكرناها في كتاب الاحياء ، والاشارة

من جملتها كافية كقوله تعالى : « كذب من ادعى محبتي واذا جنه

الليل نام عني » • ومثل قوله : « لا يزال عبدي المؤمن يتقرب الي

بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته صرت سمعه الذي يسمع به

وبصره الذي يبصر به » - الحديث •

واعلم أن الحب والعشق واحد ، والأصل فيه هو هيام

العاشق بالمعشوق ، وهو النظر استحساناً لبعض الصور بطريق

الولع به ، وقد ثار عن طريق بخار حاد من خاطر ذكي لودعي سبك

نيران المجاهدة ، فظهرت أبخرة نيرانها من وراء مؤخرات الدماغ ،

وظهرت ملوحات الفكر في العشق من مقدمات اليافوع ، وفتحت

مصاريع خلوة القلب ، فأقعد خيال المعشوق قبالة عين اليقين ،

والنفس تصقل من مرآة المجاهدة في نظر جمال المحبوب •

والأصل في المحبة هو المنادمة والألفة واستحسان كلام

المعشوق • فعند ذلك تثور همة الطلب بقدر نيران الشوق ،

فتستغلب عليه حالة العشق ، فيصير في الشوارع مجنوناً وصارت

نيران المالىخوليا ، فخلط الكلام واحترق البلاغم والأخلاط وصعقت
سماء القلب لتجلي قسر المعشوق ، فيبقى العاشق والهأ والعأ تأبها
في تجلي جلال المعشوق •

فاذا انكشفت البلاغم ثارت عرائس القلب تحمل صواني
نثار الأشعار ، ورقصت عرائس الآمال في مجالس الأوصال ، فزمر
مزمار التمني ، وضرب مزهار التآني كما قال سابق الرجال :
تمنيتها حتى اذا ما تمثلت طربت كأني قد دعوت ولبت
تمنيتها حتى اذا ما رأيتهأ رأيت المنيا شرعأ قد أضلت
تمنت أحاليل الرعايا وخيمة بنجد ولم يقضي لها تمت
فلا تنسيا أن يعفو الله عنكما ولو ما اذا صليتما حيث صلت
فيا ليتني احجار حائط مسجد

لعزة اما أن تصلي ولبت
ثم يهيج الغبار فترى بخار التمني قد تقوى من بحار العناء
فترى التقسيم الواقع في القلوب ، فهالك لا نوم ولا قرار ، اذ
يظهر مبادئ النحول والصفار ، ويبرز أعراض السهر ، ويقدح
نيران العشق لهزال سمان الأبدان • وينشد المغنى من غير توان :
وجه الذي يعشق معروف لأنه أصفر منحوف
ليس كمن أضحى له جنة كأنه للذبح معلوف

في الحديث الصحيح : ينادي مناد في كل ليلة : « ألا لعن الله الأكلول النوم ، يابن آدم ما لهذا خلقت » .

فاقنع ليخف حسابك ويصح جسدك ويقل أمراضك ويصلح أعراضك ويقل منامك ويكثر ذكرك ، فيجرك محبوبك اليه ويجذبك الى طاعته ويعصك عن معصيته ، فأكثر من النوافل تفلح ، والسلام .

واعلم أن الشوق هو الداعي الى حالة المكاشفة ، اذ الشوق هو التمني للقاء المعشوق ، ولقاء المعشوق لا يحصل الا بالمكاشفة والمكاشفة إما أن يكون عياناً أو قلبية ، وهو تجلي المعشوق بحالة يحملها قلب العاشق ، لكن العيان هو أفضل بشرط جامع بين القلب والعين ، كحالة رسول الله (ص) ليلة الاسراء ، فانه تعالى كاشفة بالتجلي القلبي والنظري ، لصحة الروايتين عن عائشة وعلي وابن عباس .

واعلم أن حقيقة المكاشفة هي عين النظر الى المحبوب ، ولكن تتفاوت على قدر درجات المحبين ، اذ ليس نظر الخلق كله واحد ، فأدنى درجاتهم النظر القلبي ، أما النظر البصري فهو عند قوم عرض غير دائم ، وأعظم المنزلتين هو الجمع بين النظر والقلب . فاذا رفعت ستور الغفلة والهوى تجلى المحبوب ، فتلاشى

المحب حتى يخرج من الستور البشرية والحجاب الجسماني ،
فيخرق الحجاب ويسمع الخطاب « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا
وحياً أو من وراء حجاب » ، فعند ذلك يمتد له حبل خطاب من
الهواء في جميع ما يحدث من الكائنات ، فيصير عيسوي الحال
« وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم » فتصير الملائكة
ومؤمنو الجن بحكمه وطاقته ، وينخرق بينه وبين الله روزنة يعلم
بها خلاصة صفاء أسرار الكائنات ، ولكن بشرط خمير العلم
والعمل بصدق من غير تجربة ، فاذا هبت نسائم اللطف برفع
حجاب الغفلة انقلبت له الكائنات على ما يريد ، اذ الارادتان
امتزجتا واحدة ، كما سبق في أحوال الصوفية من قولهم : « فاذا
أبصرتنا أبصرته واذا أبصرته أبصرتنا » .

فيصير الناسوت معنى لطيفاً يحدث له من الغيب قوة يقبل
بها جميع الواردات عليه ، فمنه أثمار الكرامات والتحدث بالأمور
الغيبية التي يعرفها الباحث من جنسه وسائر الناس لها منكرون
فتتجوهر النفس بزوال الأعراض الفاسدة عنها ، فتصير قدسية
لا تخفى عليها الأمور الغيبية .

فان قلت : هذا نوع مشاركة عزت على الأنبياء فكيف ينالها

الأولياء ؟؟

فاعلم أن أصل الغيب هو من الله القديم، فمنّ عليهم باطلاعهم على شيء من علوم الغيب، أما سمعته تعالى يقول : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول » ، وقوله « من رسول » هو ستر على الحال لئلا يحسب أجلاف العامة انها مشاركة غيبية ، وهذا غير بعيد ، اذ خزانة الملوك يطلع عليها المملوك ، والأمور المستورة قد يشاهدها العاشق الصادق قياساً بالصورة الحسناء يشاهدها مالکها وهي مستورة عن الغير « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » .

وقد سمعت الجنيد يقول : كل أحد حلاج لكن ليس كل أحد خراج .

وقال أبو يزيد البسطامي : من وصل درجة التمكين فهو طبيب يقعد على سرير أسرار الخلق فيطلع بأذن مالکة على خواطر أسرار الملوك ، مثل اطلاع مملوكك المحبوب عليك في حالاتك . أليس فاطمة السلماسية كانت تخرج وقد أذن مؤذن الظهر من سلماس ^(١) فتصلي الظهر جماعة في بسطام ^(٢) .

فإن قلت : هذا غير ممكن ، فانها حالة لم تنخرق للأنبياء

(١) سلماس : مدينة بآذربيجان .

(٢) بسطام : مدينة من مدن خراسان .

فكيف لغيرهم ؟ . . الجواب : انك تحكم على الله أو على نفسك
فإن كان على نفسك فأنت أخبر ، وإن كان على الله فأنت أصغر .
فمن عجز عن عدد عروقه وعظامه ولا يحصر عدد أدوار

عسامته على هامته ، فكيف يدخل بين الله وبين غلامه .

ثم أما علمك بما أعطى الله للأنبياء ، فإن علمت بعض علومهم
من طريق النقل فالمعجز يكذب العقل ويحكم عليه ، فبواطن أسرارك
لا يطلع عليها ولدك ولا جارك فكيف مليكك وخالقك ، وقد قال
لك « فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول » .

وأنت غير واصل إلى كشف ستور الوصول ، فإذا بلغت

المنى بالوصول تعرف ما بين الله والرسول .

وقد قلنا لك سابقاً : جاهد ولا تجاهد ، فالمجاهدة تزيل

غبار الشكوك مع المشاهدة وأنت معصب العين بعصاة حطام
الدنيا ، وهمتك ضعيفة خسيصة ، فأين خافسة الكنيف من المقام
الشريف ، وحسن الظن بالله هو الأكسير العظيم الذي به ينقلب
كل جهل علماً ، فمن تمسك به فقد استراح ، فهذه أنواع المحبة
والشوق والمكاشفة على وجه الاختصار .

فصل

وأما الزواجر والوعظيات فمثل الآيات الرادعة المذكورة

للوعد والوعيد ، والأخبار المفزعة والحكايات الجاذبة والأشعار
المخوفة والمشوقة، فخوفوا المبتدئ، وشوقوا المنتهي، لأن المبتدئ
هو قريب من خروج دار الجهل ، فيضرب عليه سور من التخويف
خوفاً من الزئج والميل ، وأما المنتهي فقد غفر ذنبه ورق قلبه وأصابه
عناء المجاهدة .

فلا بد للجميل من حادٍ لقطع الوادي ، فالمجاهدة قلاشة (٣)
والنعمات تنشئة ، قياساً بأرض ميتة تحيا بوابل المطر ، فتهتز
وتربو وتنبت وتثبت ، وتشر على المريد ثمار الهمم .

انظر كيف قال أبو حيان التوحيدي : ان كنت تنكر أن
للنعمات فائدة ونفعاً فانظر الى الابل اللواتي هن أغلظ منك طبعاً
كيف تصغي الى قول الحداة فتقطع الفلوات قطعاً .

فعليك بالخلوات الأربعينية التي يسميها مشائخ العجم (چله)
واعتد بها ، وليكن زادك وزناً فتنقص كل يوم منه لقمة ، أو وزن
ماكلك بعود ندي فهو ينقص على قدر جفافه ، فقلل ولا تتعلل .
خفف وطفف في مأكلك تلتحق بعالم الملائكة ، ففي الحديث:
« أكرهم شعباً في الدنيا أطولكم جوعاً يوم القيامة » .

(٣) القلاشة ، القلاش : الشيء الصغير المنقبض ، والقلاش :

المحتال .

فاذا فعلت ذلك تستغني النفس بمعارج القدس ، وتصير
لك بها أنس ، فلا تتخذ عليها محبة الدنيا والفلس حتى تنتقل اليك
حالة الصفة المحمدية من قوله صلى الله عليه وآله : «لست كأحدكم
أنا أظل وأبيت عند ربي فيطعمني ويسقيني » •

فهو حالات الصادقين ومنازل المتقين ، فلا تكن من المكذبين
الضالين ، فان عجزت عن مقام المقربين فكن من أصحاب اليمين •
والحمد لله رب العالمين •

فصل في العلم والعمل

اعلم ان الخواص من خلق الله تعالى ثلاثة : عالم ، وعارف
وناسك •

فأما العالم هو الذي علم واطلع على العلوم الظاهرة فعمل
بها ، فيورثه الله بعلمه العلوم الباطنة ، مثل علم المحبة ، وعلم
الشوق والرضا ، وعلم القدر ، وعلم المكاشفة والمراقبة ، وعلم
القبض والبسط •

فهذه علوم الصوفية الصافية الصادقة الوافية ، مثل الحسن
وسفيان والفضيل بن عياض وأبي يزيد البسطامي وأبي الحسين
النوري وحبيب العجمي ومعروف الكرخي وشقيق البلخي ومحمد

ابن حفيف وبشر بن سعيد وأحمد الخوازي وأحمد الداراني
وحارث المحاسبي وسري السقطي والحسين بن المنصور الحلاج
والجنيد والشبلي وأبي نعيم القاضي •

فهذه الطائفة الالهية الذين نبغ ذكرهم ، ليسوا كالطائفة
المشغولة بالعلوم والشهوات وصرفوا همومهم الى القيل والقال
ففاتتهم المعاملات •

بيضوا الثياب وسودوا الكتاب ، صقلوا الخرق وما ارشدوا
الخلق ، وجعلوا المرقعات شركاً على الشهوات ، فهؤلاء هم الزنايل
وأولئك هم القناديل ، أولئك تمسكوا بالواحد الشاهد ، وهؤلاء
انصبوا الى محبة الشاهد (١) ، أولئك هجروا المناصب وهؤلاء
دبوا الى المناصب ، أكثر كلامهم اذهبوا الشك عن المذهب حتى
يذهب ، والخلاف عندهم كورق الخلاف (٢) •

الأصول عندهم فضول ، والنحو عندهم محو ، أكثر علومهم
الرقص والصبابة ، لا يفرقون بين القرابة والصحابة •

فما أكثر عيوبهم ، لقد نسوا محبوبهم ، تشاغلوا بما كل

(١) الشاهد هنا بمعنى المحبوب الجميل ، وقد استعارها

من الفارسية •

(٢) الخلاف : صنف من شجر الصفصاف له ورق كثير جداً •

الدويرات ونسوا مدارج الطاعات ، نصبوا السجادات لأجل صيد
الخلق ، ونسوا الله والحق •

فهؤلاء الذين جاء فيهم الحديث : « ان الله ينزل مرقعاتهم
ويعلقها على أبواب الجنة » ويكتب عليها : مرقعات زور ، تركوها
لاكتساب المناصب أو هبوا لكلب أهل الكهف وأقسموا جلده
عليهم عوضاً من مرقعاتهم •

فهؤلاء صوفية الدنيا وأولئك صوفية الآخرة ، جمعوا بين
العلم والعمل ، وسهروا حتى ظفروا ، قالوا فنالوا ، وصدقوا
فحققوا ، وعلموا ثم عملوا ، فجمعوا بين المقال والحال ، فهم أهل
العلم والمغفرة والنسك والزهادة ، فأحدثت لهم جميع هذه الحالات
خاصية قوة الهية ، فطاروا بأجنحة الاشتياق الى رياض القدس
وحظيرة الصمدية ، واقتطفوا علوم الغيب ، فهؤلاء فقراء الآخرة
وصوفيتها الذين علموا أن النعمة هي من المنعم ، فتركوا الاسباب
جوانب •

وأما علماء الآخرة فمثل الحسن البصري ، وسفيان بن عيينة
والثوري وصاحب المذهب ، والطائي الطاهري ، وأبو سعيد
الخدري ، وأبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي الكوفي ، ومالك
ابن أنس المدني ، ومحمد بن ادريس الشافعي المطلبي ، وأحمد

ابن حنبل الشيباني المدني ، وابن شريح ، والحداد ، والقفال ،
وأبو الطيب ، وأبو حامد ، واستاذنا امام الحرمين أبو المعالي
الجويني ، والشيخ الامام أبو اسحاق ابراهيم الفيروزآبادي
المعروف بالشيرازي ، فقد جرى له مع شيخنا نوبة عند السلطان
وكنت حاضرها ، فما رأيتهم طلبوا بالمنظرة غير إظهار الحق ،
لا غلبة ولا صقل كلام ولا نقص في الخبر النبوي ، ولا تأويل
باطل في متن آية ، ولا مزاعقة ولا مخاصمة ، بل هو على طريق
الفائدة والمباحثة ، فأولئك علماء الآخرة الذين تشبهوا بصحب
رسول الله (ص) بترديد الفتاوى من واحد الى واحد وقالوا :
أميركم أحق بالتقليد .

ونحن علماء السوء ، نشتغل بسواد الليقة وبري القلم
والتصدي والتحدي وذرب اللسان وسواد الطيلسان وقعقة
الثياب وطول الأردن وسعة الأكمام والصيحة والدهشة « ولا
ينبئك مثل خير » .

فانظر الفرق بين الطوائف والفرق ، أليس في الحديث « من
ترك المرء وهو المحق بني له بيت من ذهب في أعلى الجنة » فنحن
لا بيوت ولا تخوت ولا حور ولا قصور .

رأى الشافعي مناماً وكان قد تكلم في مسألة مع أبي يوسف

فرأى كأنه قد أدخل الجنة ، فرأى حوراً وهي تشرق العرصة من نورها . قال : لمن أنت ؟ فقالت : لمن ترك المراء وهو محق ، ثم ولت وهي تقول :

خلطوا الحق بالقبيح فزورا ثم مالوا الى المراء قشورا
ثم راموا من الإله بدورا قد فجرتم من المقال كبيراً
وطلبتم من الاله أجورا سوف تجزون في المعاد سعيراً
ثم قالت : يا شافعي ما تنال بالقال والقليل ، هذه الثياب
والخلايل ، ان كنت صادقاً وتريد أن يكون للجنة مالك فعليك
بالعلم والعمل ، فمن أراد المسالك يصبر على المهالك ، ثم انتهت
فعلت ان اتباع الهوى لا يقوى الا الى الهوى « والآخرة عند
ربك للمتقين » .

وفي الحديث : ان العلم يهتف بالعمل ، فان أجاب والا
ارتحل .

فهؤلاء علماء الدنيا وعلماء الآخرة ، وفقراء الدنيا وفقراء
الآخرة ، وأنت مشغول بالكرم عن الكرامات ، وبالقصور عن
القصور العاليات، صرت مثل الذئب همك في التشكيك والتكذيب:
سوف ترى اذا انجلى الغبار أسابق تحتك أم حمار
وأما العلوم فكثيرة وأقربها ما دل على الآخرة ، مثل علم

الشريعة ، كتفسير الواحدي ، وامتنان الصحاح ، وقراءة القرآن
ومحافظة الأوراد المذكورة في كتاب الاحياء ، وان اردت حسن
العقيدة على وجه الاختصار فعليك بلوامع الأدلة وهو لشيخنا
امام الحرمين أو قواعد العقائد ، وان أردت سلوك طريق السلف
فعليك بكتاب نجاة الأبرار ، وهو آخر ما صنفناه في أصول الدين .
وقد ذكرنا لك التصانيف في معرض هذا الكتاب فاقراً ما

شئت واعمل ما شئت ، فان اللقاء قريب .

واعلم أن فصول السنة معروفة ، مثل صيفها وخريفها
وشتائها وربيعها ، فمن الحمل الى الجوزاء ربيع ، ومن السرطان
الى آخر السنبلة صيف ، ومن الميزان الى آخر القوس خريف ،
ومن الجدي الى آخر الحوت شتاء ، « وقدره منازل لتعلموا عدد
السنين والحساب » .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : هذا الهواء اذا أقبل فتلقوه
واذا أدبر فتوقوه ، فانه يفعل بأبشاركم كما يفعل بأشجاركم ،
أوله مורق وآخره محرق .

ففي العلوم ما يضر ، مثل العمل بالسحر والكهانة وصبغ
الصفر فضة اذا قلبها فضة بالصناعة وباعها .

وفي المكاسب مكاسب خسيصة تأبأها النفوس كالغسل

والحفار والكناس والحجام •

والصنائع والمهن من جملة العلوم المفهومة التي تعينك على طلب العلم الاخروي ، فكن عالماً عاملاً تنال المقصد الأسنى في دار الله الحسنى ، وهنالك تستقر نفسك من غير ضجر ، « في جنات ونهر • في مقعد صدق عند مليك مقتدر » •

وعليك لتحصيل العلم بالسفر ، لقوله صلى الله عليه وآله : « اطلبوا العلم ولو بالصين » ، وفي السفر تشاهد العجائب وتجتسم بالمشائخ الذين هم بحور العلم ، وهو سر قوله صلى الله عليه وآله : « سبعة أبحر من الجنة : سيحون ، وجيحون ، ودجلة ، والفرات ، ونيل مصر ، وعين الأردن ، وعين سليمان » ، ومن هذه الأنهار تستفاد العلوم على تنوعها ، وكل اقليم قد اختص بعلم من العلوم وأقبل أهله على ذلك العلم اقبالا •

فالسفر فيه عجائب وغرائب ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : « ان بالمغرب هاهنا لأرضاً بيضاء من وراء قاف يقطعها الشمس في أربعين سنة مرة » • قالوا : يا رسول الله أوفيهما خلق؟ قال : نعم فيها قوم مؤمنون لا يعصون الله طرفة عين ، لا يعرفون آدم ولا ابليس ، بينهم الملائكة يعرفونهم شريعتنا ويحكمون بينهم ويدرسونهم الكتاب العزيز • قالوا : يا رسول الله زدنا من هذه

الأعاجيب • فقال : ان لي صديقة من مؤمني الجن غابت عني
سنين فسألتها : أين كنت ؟ فقالت : كنت عند أختي من وراء
الأرض البيضاء التي وراء قاف • فقلت : أوهم مؤمنون ؟ فقالت :
نعم قرأت عليهم كتابك فأمن به قومنا • فقلت : وما وراء تلك
الأرض ؟ فقالت : جبال تلج وماء وهواء وظلماء ثم وراء ذلك
جهنم فقلت : أو تصعد الشمس في تلك البلاد ؟ فقالت : نعم •
وأما حديث تميم بن حبيب فعجيب ، حيث اختطفته الجن
فشاهد من عجائبها حتى رأى القصر الذي فيه الدجال مقيداً ،
فقال له : من أي الأمم أنت ؟ فقال : من أمة محمد • فقال : أوقد
بعث ؟ فقال : نعم • فقال : آن وقت خروجي •

وأما حديث جن العقبة فأعجب • قال عبدالله بن مسعود :
مشيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب (ع)
في ليلة مظلمة حتى وقف بنا على ثقب ، فظهر منه رجل فقال :
انزل بنا يا رسول الله ، فناولني فاضل ثيابه ثم أخذ بيد علي
ونزلا في الثقب وأقعدني مكاني ، فلما برق بارق الصبح عادا
ومعهما رجال يشبهون الزط ^(١) فقال : هؤلاء اخوانك المؤمنون
وكان معي ماء فيه شيء من منبوذ التمر ، فشرب منه وتوضأ •
(١) الزط : طائفة من الهند ، واليهم تنسب الثياب الزطية •

وهذا صحيح من غير نزاع ، وقد أوله أرباب الهوى على اختيار ما يريدون ، فمن أراد أن يعلم حقيقة هذا وغيره فلينظر في كتاب « معايب المذاهب » ، وهو من جملة تصانيفنا .

وأما قصة زعيم بن بلعام فهي عجيبة ، وقد أراد أن ينظر من أين منبع النيل ، فلم يزل يسير حتى وجد الخضر عليه السلام فقال له : ستدخل مواضع ، ثم أعطاه علائقها ، فوصل الى جبل وفيه قبة من ياقوت على أربعة أعمدة والنيل يخرج من تحتها وفيه فاكهة لا تتغير ، قال : فرقيت رأس الجبل فرأيت وراءه بساتين وقصوراً ودوراً وعالماً عظيماً ، وكنت شيخاً أبيض الشعر فهب نسيم سوّد شعري وأعاد شبابي ، فنوديت من تلك القصور : الينا يا زعيم الينا فهذه دار المتقين ، فجذبني الخضر ومنعني . وأعجب من هذا الحديث حديث بلوقيا وعفان ، فحدثهما طويل وإشارة منه كافية ، فقد بلغ من سفرهما انهما وصلا الى المكان الذي فيه النبي سليمان عليه السلام ، فتقدم بلوقيا ليأخذ الخاتم من اصبعه ، فنفخ فيه التنين (٢) الموكل معه فأحرقه ، فضربه عفان بقارورة فأحياه ، ثم مد يده ثانية وثالثة فأحياه بعد ثلاث ، فمد يده رابعة فاحترق وهلك ، فخرج عفان وهو يقول :

(٢) التنين : الحية العظيمة .

أهلكوا الشيطان أهلكوا الشيطان • فناداه التنين : ادن أنت وجرب ، فهذا الخاتم لا يقع في يد أحد الا في يد محمد اذا بعث ، واذا شاهده قل له : ان أهل الملأ الاعلى قد اختلفوا في فضلك وفضل الأنبياء قبلك فاخترك الله على الأنبياء • ثم أمرني فنزعت خاتم سليمان فجئته (ص) بها ، فأخذها رسول الله (ص) وأعطاه علياً عليه السلام فوضعها في اصبعه ، فحضر الطير والجان والناس يشاهدون ويشهدون ، ثم دخل الدمرياط الجني — وحرثه طوليل •

فلما كانوا في صلاة الظهر تصور جبرئيل بصورة سائل طائف بين الصفوف ، فبينما هم في الركوع اذ وقف السائل من وراء علي عليه السلام طالباً ، فأشار علي بيده ، فطارت الخاتم الى السائل ، فضجت الملائكة تعجباً فجاء جبرئيل مهتئاً وهو يقول : أتتم أهل بيت أنعم الله عليكم ، وأتتم الدين « أذهب الله عنكم الرجس وطهركم تطهيراً » •

فأخبر النبي (ص) بذلك علياً فقال علي : ما نصنع بنعيم زائل ومملك حائل ودنياً في حلالها حساب وفي حرامها عقاب • فان اعترضوا وقالوا : اذا كيف قاتل معاوية على الدنيا ؟ فالجواب : انه قاتل على حق هو له يصل به الى حق •

وأما التحكيم فباطل غير صحيح ، لأن التحكيم انما يكون على موجود ومحدود ومعروف ومعلوم غير مجهول ، فهذا فقه وشرع •

فمن أراد أن ينظر في كشف ما جرى في قضية التحكيم فيطلع في كتاب صنفته وسميته « نسيم التسليم » • وفي قصص ذي القرنين كفاية واعتبار لمن أراد الاطلاع على ما أودع الله من العجائب والحكمة في مختلف أنحاء هذه الكرة الترابية •

ثم انظر في كتاب « رياض النديم » لابن أبي الدنيا ، وانظر في كتاب « الأقاليم » وانظر في كتاب « المسالك والممالك » وكتب الماوردي الموصلي •

ثم اذا أردت أن تعرف سعة الأفلاك بعضها على بعض : فاعلم أن سعة الأرض فهو قطع الكوكب في ليلة واحدة ، وأما الفلك الهوائي فقد يقطعه القمر في شهر ، فانظر الى الفرق في القطع في ليلة وشهر ، ثم الفلك الناري تقطعه الشمس في سنة ، ثم فلك زحل وهو الأعلى ويقطع فلكه في ست وثلاثين سنة ، ثم فوقه الكرسي والعرش النبي هو سقف الجنان الثمانية التي واحدة منهن بعرض السماوات والأرضين ، فخذ دليلك من هذا

المساق المذكور •

فما لهمتكم الناقصة لا ترفعها الى درج المعالي ولا تكسوها
سهم السعادة ، بل أنت مشغول بالنفس الخبيثة وخدمتها ، فأنت
كالذي عشق حماراً فأشغل به قلبه ففاته سير القافلة ، فظهر له
قاطع الطريق •

وهذه دار أحلام والأنبياء والعلماء مفسرون للناس ، فعند
الانتباه يتبين لك صحة التأويل ، أما سمعت الإشارة « الناس
نيام فاذا ماتوا انتبهوا » •

ومثلك في دنياك كمثلي مطلقين في بطن واحد ، قال أحدهما
لصاحبه : أما أخرج عسى أرى غير هذا المكان والعالم ، فلما خرج
ورأى سعة الدنيا هل يطيب له أن يعود الى ضيق بطن أمه •
وهكذا أنت اذا خرجت الى سعة آخرتك لا يطيب لك العود الى
دنيا حملتك كضيق حمل امك •

ومثلك في باب مولاك كرجل أراد الدخول الى ملك وهو
جائع ، فوجد على باب الملك كلباً ورغيفاً ، والكلب يصدده عن
الدخول ، فان كان ذا همة عالية آثر حضرة الملك على الرغيف
فيدخل على الملك فيحظى بالماكل اللذيذة لأنه شغل الكلب برغيفه
فتشاغل الكلب بالرغيف ودخل هو الى الملك ، وان كانت همته

في بطنه أكل رغيفه فصده الكلب عن الدخول على الملك ، ثم
يتعفن الرغيف في بطنه وبعد ساعة رماه .

فدنياك هو الرغيف والكلب هو الشيطان يصادك عن الدخول
على الملك ، فارم الرغيف الى الكلب تسترح ، واكتسب من جواهر
الأعمال تشرف بها عند عرض البضائع ونيل المتجر الباقي في دار
زفاف الحور وفتح أبواب القصور :

تركت للناس دنياهم ودينهم حبا للقياك يا ديني ودنياي
فأنت مثالك كجماعة سافرت الى وادي الظلمات ، فقال لهم
الخير بالمكان : « احملوا من حصاه تظفروا » ، فصاحب حسن
الظن بالله حمل فأوقر ، والمتشكك أبطل فتحقر ، فلما خرجوا من
الوادي الى ضياء الشمس وشاهدوا بضائعهم فاذا هي در وواقبت
فهناك ندم المبطل وفاز المحمل .

فهذه صورة أعمالك في دنياك ، فاما أن تنادم فيصير غلاما
واما أن تعمل فتحظى من الله تحية وسلاما .

فدع كبرك وقلل شبعك ، ونظف بطنك ، ومن كثرة النوم
عينك ، عساك تقطع شينك وتوفي دينك ، فأنت الذي تنتك
العرقه وتوهنك البقة وتقتلك الشرقة ، وملابسك من قزة ،
وحلاوتك من نحلة ، وخبزك من تبنة ، وأنت غداً مستور بلبنة ،

وغداً تؤاخذ بنعيم دنياك •

أما سمعت النبي حاسبه الله على شبعة مرة واحدة من خبز شعير وتمر ، ووبخه حيث قال له : « ولتسئلن يومئذ عن النعيم » •

فصل في علو الهمم

واعلم ان علو الهمة هو اجماع القلب المهتم وجمعه لنيل مقصد بالتوجه اليه دون سواه ، من غير قلب متوجه لغيره ، وصاحب الهمة لا يكون همه في مقصده لنيل أغراض متفرقة ، كمن أراد اعمالاً لا يقع في يده غير عمل واحد •

وان همة كل واحد على قدر نفسه في علوها وطمهارتها ، ألا ترى الى أصحاب الصنائع الخسيسة كالكناف والزبال والاسكاف والدباغ والغسال ، فهؤلاء همهم على قدر خسائس أنفسهم النازلة لسابق ما قدر لهم عند اعتصار روح السعادة من عجيب الطالع في خمير الولادة ، وهذا حال يتعلل به العاجز ، فاذا علمت أن الملك معشوقك فلا تألف الخسائس ، فليس هذا أنساباً معلقاً بالأب والأم ، وانما هي بعلو الهمة •

كما كانت من أول الفيض الصادر عن النفس الكلية همم

العلماء والملوك ، ثم كلما تباعد الفيض عن النفس الكلية رذلت
الهمم ، كما رذل الحيوان بعد فيض الانسان .

ألا ترى همة الفيل والحصار في المأكّل والمشرب ، فهذا همه
بريح وهواء وهذا همه بتبن وشعير .

هذا ، وانظر الى همة ذي القرنين وهو ابن هيلانة وأبوه
نساج ، كيف تعرض بعلو الهمة الى الملك ولم يتنازل الى الصنائع
فمثله في العالم كثير ، ومن جملة علو همته استيلائه على قوم
ياجوج كما جاء تصريحه في القرآن الحكيم .

وقد اتخذ المتقدمون ألحان الموسيقى ، أو زعموا أنها معتصرة
من دورات ألحان الأفلاك حين تدور ويسمع له نغمات بطرائق
وأوزان غير خارجة ، وزعموا أنها عن موسى وأدريس ، وطائفة
أخرى زعمت أن العود متخذ من شكل طائر معلق في جبل في
أثفه أثقاب ومخارج بعدد مخارج ، وهذا من جملة فروع الهمم .
فنيل المقاصد من غير همة غم لمن عشقها ، واكتساب الهمم
ونيل مقاصدها للعلماء بالدرس والمواظبة والجوع والصبر ، ونيل
مقصد الزهاد بالرياضة والخصول وترك اللذات ، ونيل مقصد
المملكة هو الاشتغال فيما يجذبها عن الهيبة والشوكة وما يشاكلها .
فإن قلت : هذه سعادات أزلية ، فمن قدر له السابق في شيء

أخذه وبلغه ، ولا يسحى ما سطر على جبين العبد فقد صدقت ،
ولكن مت تحت غبار العز لا على مزابل الشهوات بالذل ، أما
مر بك انشاد السابق :

أطلب العز في لظى وذو الذل ولو كان في جنان الخلود
وقد سمعت كلام معاوية ، اذ قال : « هموا بمعالي الامور

لتنالوها ، فاني لم أكن للخلافة أهلاً فهست بها فنلتها » .
وقد ذكرت حكاية في كتاب « خزانة سر الهدى والأمد
الأقصى الى سدره المنتهى » أنه مات بعض الملوك فغلقت المدينة
وقالوا : لا نسلك علينا الا من كان في ساعده علامة نور شعشعاني
فورد اليهم رجل فقير وفي ساعده نور كما كان في ساعد الملك
المتقدم ، وكان ينظر اليه وزير المدينة بعين الدراية بعد أن ملكوه
البلد ، فدخل اليه الوزير بهدية ، وهي قشرة من عود قماري
كجفنة كبيرة ، فقال الملك : من اين لك هذا ؟ فقال الوزير : كثير
مثل هذا يجيء في نهرنا . فقال الملك : لا تستقر في الوزارة حتى
تأثيني بخبره وفي أي بلد يكون ، فاتخذ الوزير له مركباً وسار
حتى دخل تحت جبل ، فلما قطعه بخروجه الى جانبه الآخر رأى
بلاداً أشجارها كلها مثل هديته ، ثم رأى جماعة قائمة منقطعين
في جبل ، فقال : ما الذي يريدون هؤلاء ويفعلون ؟ فقالوا : كلهم

في طلب الملك يتجوعون سنة مع أنواع المجاهدات فمن رقى على
ساعده نور أبيض فهو يستحق الملك • فلما عاد الوزير أخبر الملك
بقصة ما رآه فقال الملك : لا تتحقر فتحقر وسافر واعمل لتتذكر ،
فهذا علو الهمة بالجوع والمجاهدات • ثم قال : لا يغرنك الجواشن
والبيض ، فما تحتها الا قلوب البنات •

وقد رأيت بعينك مشار علو الهمة من الاستسقاء والسحر
والكهانات والمعجزات والكرامات ، فان أردت ذلك فعليك بالجوع
والعلم والعمل والخلوات يكشف لك العلامات بسرائر الكائنات •
وأخبرت ان بأرض المغرب طائفة تستخدم موسى الجن بعزائم
ومقالات وبخور وجلوات ومجاهدات ، وقد ذكرنا ذلك كله في
كتاب « خزانة سر الهدى » ، وذكرنا فيه كفايات التعليم ، فاطلب
وجد واجتهد ، فنيل مقاصد الرجال من غير تعب هذيان » والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » •

تم هذا الكتاب ، ويتلوه كتاب آخر من كتب سر العالمين
وعلم ما في الدارين ، من تصنيف الشيخ الامام حجة الاسلام أبي
حامد محمد بن محمد الغزالي رحمه الله •

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

في الرد على ابن سينا

اعلم انه لما طرقت طارقت هذا الخيال وعارض قلب الرئيس
أبي علي بن سينا بأن قال : ان الشمس وسائر الكواكب جماد
ونورها فياض عنها تمسك به عن غاية الاشتياق ، فلم يتمش كلامه
بغير برهان ، فكانت الحجة واضحة عليه ، لأن الدلائل العقلية
والنقلية كلها دالة على ان الأجرام العلوية النيرة ذات حياة وعلم
وخبرة ، ومن شواهد النقل كما في الكتاب العزيز قوله تعالى :
« ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس
والقمر والنجوم والجبال » وقوله صلى الله عليه وآله في خسوف
القمر : « اللهم فرج عنه » .

فقد علم المشرع الصادق انه في ضيق يحس تألمه فطلب له
الفرجة ، ثم تعلل هذا فقال عنه لسان الحال وليس هذا وجه الدليل
فالسجود خلاف الكلام ، وسجود الجبل ظلالة كما قال تعالى :

« فالمدبرات أمرا » ولم يقل فالمدبرات ، ففرق بين الفاعل والمفعول ولو كان مفعولا لما كان مركزا ومحلا قابلا له .

ثم أقسم تعالى « والسماء ذات بروج » فالبروج أماكن يقع فيها الفاعل لا المفعول ، اذ الفاعل معنى ويتوجه اليه مفعوله . وفي آحاد الاخبار الصحيحة ان الملائكة لتجذب الشمس على عجلة في جبال من ثلج أو برد فيسرعون لها تقديسا وتمجيذا ولو كانت جمادا لما أقسم الله بها في مواضع معروفة ، كما في قوله تعالى : « والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها » ، وفيها نكتة دقيقة ، يعني ان القمر ليس منير بذاته بل يكسب النور من الشمس .

ثم تنتقل الى الأدلة العقلية فنقول : وقع الاجماع من أرباب النقل وأصحاب صناعة النجوم أنها حاجبة الفلك لما يشاهد من أمرها ونهيها ، المنخرق في ذات الفلك ، ثم تحكيما في أهل الكرة السفلى ، وقد شوهد من صنائعها ما اثرت مشاهدته العارف العليم بأسبابها ، فمن أفكر شيئا جهله ، وفي قطب الدليل والبرهان المميل العلم بحقيقة الخسوف .

فنتقص الشيء مستدل على جملة أخرى ، ولما وقع الاعتراض اين المجانسة بين الروحانيات والجسمانيات ، حتى تؤثر بطبائعها

في عالم أهل الكون والفساد ، فلو جح الجواب لأربابه انه أية
مجانسة بين الدواء وشاربه حتى يؤثر فيه الاسهال ؟؟

وان قلت : لأن الجميع مركب من طبائع أربع ، فاذا صح
الجواب أن العناصر الأصلية أثرت في الحال بالكلية ، وهكذا
النفس الخارج عن الجسد والمنفصل منه كان نفسه مأخوذاً من
الهواء المتصل بالجسم المتخلل عن الدورة الفلكية .

فهو نتيجة الدور ، كالمروحة التي تروح بها ، فان كان الهواء
منها فيبطل عليك كحاجة النخلة الى الماء ، وان كان منك فكيف
يتصل بك ما كان منك .

وانما السرفيه أن الهواء واقفة فيفصله المروحة ، فاذا بان
عنك اكتسب برودة الجو فتؤديه اليك بارداً ، وهكذا في جميع
الأماكن وفي الحمام ، فلما صحت النسبة تصور البغض كما قوى
الخيال على قوم فخطبوه .

وقد شوهد من القرآن مقابلة الأجسام الروحانية ، وبرهانها
موجود بنظر أهل الخبرة وعندكم يا أرباب المنطق ، أستمزعمون
أن الفلك حي ويسبح بنغمات مطربة ، فالكواكب عندكم روح
الفلك ، ولما كانت الحياة لائقة بالجسد كان في الروح اولى .

وهذا التلويع كاف ، كالشربة اللطيفة تعمل في مبدأ خلط

لطيف ، فاذا زاد عزٌّ عن تناول الدواء ، فلما صح سبب النسبة بين العالمين بالبرهان المتصل من الهواء بينهما صح العشق والبغض والأمر والنهي والوصل والفصل من المالك للملوك ، اذ الجانب الأعلى أفسح من الجهة السفلى ، وأهلها الروحانيون ، وهم المتحكمون بالعالم الأسفل ، لما يفيضون عليهم بسبب المجاورة بملكهم ، فاذا وقع الشك فزناد القرآن واضح « عند ملك مقتدر » .

وهذه لفظة تقريب واصلاح أهل اللغات على العندية لمنتهى معقولهم ، فاذا صح لك ذلك فتمنى لمجاورة هذا العالم الظاهر بسبب عشقه بطريق المجاز على ما ذكر ، بشرط خلو الفلك من المشغلات الفاسدة فيه ، حتى يصح لكم النبأ العظيم الذي أتمت عنه معرضون » .

فكيف تنظر الى نفسك بعين العزة وأنت محمول من جملة دور الفلك الأسفل وهو الأوسط من عالم الوجود ، فمل بنفسك الى الجهة العلوية ، فمن له همة كثيرة يقطع بها مركب جسمه فتصل الروح الى عالمها بما يشكل في نفسها من العشق القديم .

فصل في الزهد

لما كان الزهد في اللغة هو الترك للشيء ، طار كل طائر الى ما يشاكله : فطائفة زهدت في الآخرة فمالت بفسقها ، وطائفة زهدت في الدنيا فمالت بصدقها ، وأخرى زهدت في الدارين رغبة في مالكهما ، وهذا الطريق الثالث هو أعلى المراتب واليه تطمح عيون الأصفياء ، وهو طريق صعب جداً ، لأن النفس تروح من تعبها بما تسمع من لذيذ النعيم في أكل وشرب ولباس واستمتاع فمن رفض الكل ولم يعلم ما الذي رغب فيه أصبح مذبذباً ، فهو داء بالكلية ولا بد من دواء يرجع اليه ، ودواؤه عندنا ، فنقول : انه لما عرفت ان كلما هو على الأرض زائل ، فاعلم انما تركته النفوس الظاهرة اختياراً لا اضطراراً كتوبة العاجز لكبر أو فقر ، والكل مشبه طلاق المكره .

ولما نظر العقلاء الى ان ما مضى من العمر هو فائت ولا لذة له ، وما يكون في المستقبل فما وصل بعد ، وما هو فيه من اللذات فما يدوم وهي منقضية وفانية ، فلذلك عادوا بطريق المنازعة الكلية لترك الدنيا ، فكانوا كمن صبر على مر الدواء لما علموا

بعده من تعجيل العافية وبقاء الأجسام من دونها ودون أغراضها الفاسدة ، كالبيت الذي علا باطنه من آثار الدخان أغراض سترت تحتها فرقة من الهوام ، فعدت الى زواله وتنظيفه وكشف ما عليه من الضرر ، فالعين غسلها بالغض بعد البكاء ، وما جناه اللسان فطهارته من الذكر والاستغفار والندم والاعتذار ، فاذا علمت أن الجند بطاعة الملك فرجوعها على سرعة بعد نفورها ، لكن الخوف من تهور الملك ، فاذا تطرق الفساد عليه فالرعية تخرب لخرابه ، فمع سلامة العقيدة العلاج قريب للأعضاء .

ثم انظر الى زناد الخبر كيف قدح عن المشرع العظيم (ص):
« ان في ابن آدم علة اذا صلحت صلح الجسد ، وهكذا اذا فسدت فسد الجسد » .

فأكبر زهد لك اذا أردت الطريق الأوفر والنصيب الأكبر ، هو الايقاع بين النفس الظاهرة والجسد الترابي بهجر الشهوات والذات ، فاذا تركتها مع معشوقها فهي لا تبارحه بعد الانفصال فيصبر دونه لا ينفصل عن معشوقها ، وان كان لها سابق قديم من المكابذات والمجاهدات ألقت من الميل اليه ، وركضت تقدمها أعناق الطبائع الأربع ، والتحققت بأهل الملا الأعلى في أسنى المراتب مع مجاورة السابقين الطاهرين ، وصارت تلتذ عن أكلها وشربها

بفيض أنوار القرب عليها ، كما يحظى العاقل بتقريب الملك له .
وفي اللذة العقلية من سماع العلوم والمطربات معنى عن
لذة المأكل والمشرب ، وقطع بها الفلك التاسع ، فإذا انتهت
وراءها حظيت بمقام الأنوار الذي لا ليل فيه ولا نهار ، فإن الليل
والنهار جعلهما الله خيطي الفلك يدور بخيط اسود وأبيض ،
ويتخلل عنهما القضايا من خير وشر ، والفلك الثاني هو مركز
القمر ويقاطعه في شهر كما قطع الأول في ليلة ، وهكذا نقول في
الرابع وهو مركز الشمس ويقطعه في سنة دائرة ، ثم اسلوب
النهاية الى الفلك السابع .

وقد علمت من قطع زحل الفلك ، فأين فراديس الثامن
والتاسع .

هذا وأنت منهمك راغب على أدنى منزل وأضيق خطة ، ثم
يكون هذه الروح الطيبة مجاورة الملك وراء الفلك التاسع الذي
أطلق المشرع عليه اسم (الكرسي) ، فتلک منزلة عريت عن
الأمراض والاعلال وتحاشت عن الفناء والزوال ، وذلك انا رأينا
الفناء لم يطرق الا على أهل هذه الكرة لتغير أحوال الليل والنهار .
ثم قد تقرر البرهان عياناً ببقاء النيرين والكواكب مع قرب
مجاورتها من الدائرة السفلى ، فاذن ما هو أعلى منه أدوم في

البقاء ، ولما جاز أن يكون بين كل فلك وفلك فسحة وبون وتبيز
صح أن وراء الفلك التاسع أعظم الفسح وأكرم المنح ، لمجاورة
الأنوار القدسية .

ولما سار عند أرباب النقل ان الجرم الناري هو دون جرم
الشمس ، لتراقي الأعراض الفاسدة اليه كالدخان وغيره صار
عندهم مسكناً للأفواح الخبيثة الفاسدة لما أثقلها من حب الدنيا ،
فكلما تهيم النفس الخبيثة بالارتقاء الى المحل الأعلى غلب عليها
شوقها الى عالمها الاسفل ، وهو معنى قوله تعالى : « وأما من
أوتي كتابه وراء ظهره » ، فاذا خلصت من الدنيا وشبهها غلب
عليها شوقها ، فرقى بها الى المحل الأعلى ، وهو معنى الآية « فأما
من أوتي كتابه يمينه » .

فأعظم ظلم النفوس ظلماتها ، وهو اللازم الذي لا يتعداها
والطائر الذي لا يتخطاها « وكل انسان أَلْزَمناه طائره في عنقه » .
ولما صحت هذه البراهين ثبت ان هناك دار النعيم التي
فيها جميع ما وعده الله لأوليائه من النور والحدود والقصور
والقطوف الدانية والغرف العالية ، فمن قدر انه يملك دار القرار
بحب الدرهم والدينار فقد طلب محالاً .

فأعظم درجات الزهد زهد النفس في الجسد ، بقطع الظلمات

والتبعات وهجر اللذات والشهوات ، مع ما يحصل لها من التعب في تحصيل هذه المؤنات ، فاذا تركها تروح لغيره وهو قد أنف من الجميع ، فأول درجة أن ينزع المريد عن نفسه حب الرياسات من الطمع والكبر والشح والرياء والحسد ، فهذه الاخلاق المذمومة هي كلاب النفس وسباعها وعقاربها وحياتها ، فاذا مات العبد ظهرت عليه من مكائدها فتعذبت النفس بها .

والجهل هو السم القاتل والتنين الأكبر ، فاذا صفت من هذه المذام المذكورة وتحلت بالاخلاق الحميدة وصلت الى مبدأ درجات الزهد ، وقوى جناح نور العقل فانبسط في بحر اليقين ، وأتاه بريد الصدق كاشفاً عن قلبه حجاب الغفلة ، فهو الزاد والمزاد ليوم المعاد ، والنفس مع ما ألقت ، وهي عاشقة لما اعتادت :
« هي النفس ما عودتها تتعود »

ثم أين هي والطبائع الأربع حتى تسيل اليه بالكلية ، فهذه مساوية وهذه أرضية ، والألفة بينهما بدوام الصحبة ، فاذا فارق الراكب مركوبه استراح عنه ، والبدن مركب للروح ، فأين صيرته محبوبها انجدلت معه ولا تنفصل عنه .

والثقل في سكرات الموت ليس الا من شدة عشق النفس للبدن ، لأنها تحسبه مألفاً لم يجد بعده سواه ، وهذا خطأ جداً

لأن قرب الملك أولى على كل حال ، فإذا كان لابد من الوحدة فاعتد بها اختياراً منك .

وأقل درجات المتزهدين في الدنيا وقوف الملوك على أبواب زواياهم ، كما ذكر المشرع صلى الله عليه وآله : « ظفر الزاهدون بعز الدنيا ونعيم الآخرة » .

فإن كنت قائلاً بطريق الشرع فكن على طريق محمد (ص) وإن كنت بطريق أرباب العقل فقد مر بك طريق أفلاطون وسقراط وغيرهما من الحكماء .

واعلم أن أصل الشهد من مكسب ذبابة ، وأفخر أثواب الحرير من دودة ، وأصح مشاربها الماء ، والشاربون فيه على طريق واحد ، ثم الخيل وراكبها على عذر ، ثم النساء وما فيهن من التعب والمؤذيات والمؤنات اللازمة ، ثم الذهب والفضة وهما حجران ولو اجتمعت الملوك على تحريمهما لم يبق لهما قدر .

ومع ذلك فأنت تحسب أن الزهد يتحصل لك في ترك هذه السبعة الأشياء الظاهرة ، من الذهب والفضة والخيل المسومة والنساء والبنين والأنعام والحرث ، ولكن وراءها في الواقع سبعة خفية ، مثل العجب والكبر والظن الفاسد والشح والحسد والبغي والاعتداء ، فالزهد في هذه أولى ، فقد كان للسابقين أموال

ينفقونها في الطريق المستقيم ، وكانت بواطنهم طاهرة بخلافكم
اليوم .

وكما ان الطهارة من الحدث وتأديب الظاهر لا بد منه ، كذلك
طهارة القلب بالآداب الباطنة فرض عليك ، فظاهرك يصلي للرب
وباطنك آتون الشهوات ، مع ما انك تعلم ان القلب بيت الرب
وهو محل الرحمة ، وينبوع العلم ، ومهبط الملائكة ، ومكان
الذكر ، وقصر الروح ، ولوح الحكم ، ومرآة العقل ، وسراج
اليقين ، ولكن هذه محجوبة عنك بالتخليط والغفلة .

فعدت من نور الايمان الى ظلم طبعك بحجاب المعصية ،
فكانت هذه الأنوار مستورة عنك ، كما ستر الغمام نور الشمس
والقمر والكواكب ، وستر التراب الماء ، فاذا كشفته وصلت اليه ،
وظهر لك العلوم المخفية واللدنية بواسطة الالهام من لمة الملك .

فاللوح اذا كان ملآن لا يسع شيئاً غير ما فيه ، فامح عن
القلب آفاته الذميمة حتى ينتقش لك فيه من العلوم ما يعجز
عنه الحصر .

وأنت تعلم من حيث الشرع أن صورة الكلب على البساط
يمنع دخول الملائكة البيت الذي هو فيه ، ثم مع هذا أنت تشد في
باطنك سبع كلاب وأكثر ، مثل الحرص والأمل والغرور والشح

والكبر وجميع الأخلاق المذمومة ، فكيف يطمع من هذه الآفات محصورة في قلبه أن تهب عليه نسيمات القرب ، فهذه العاهات والآفات كلاب القلب •

فاذا عجزت النفس عن الزهد في الدنيا وجمحت الى الشهوات فسطها بمقارع المواعظ من الكتاب والسنة والأمثال ، وعودها بالأخلاق الحميدة ، فالخير عادة والشر لحاجة •

ومن علم انه سالك طريق الآخر فلا بد له من التجهيز لها ، فان طلقت الدنيا والا فهي تطلقك ويقطع الوصلة بينكما بمدينة الفناء ، فاذا صح لك هذا الطريق مع العلم والاخلاص جاورت نفسك أهل الملأ الأعلى مع الملائكة المقربين في اللذات السرمدية والحياة الأبدية ، ومجاورة الملك الكريم في الفردوس الأعلى من مكان صح فيه الاعتدال ، اذ ليس فيه ليل ولا نهار ، وتسمع للأفلاك نغمات تذهل من سماعها ، يطوش لها الأبواب وتسلب من لذتها العقول ، فيكون النفس مجاورة الأهل القديم عند العقل الفعال الذي من ورائه واسطة عالم النفخ الصادر عن الفيض الالهي •
فيا طوبى للنفس الظاهرة وهنيئاً ولها البشرى ، « فان الناس نيام فاذا ماتوا اتبھوا » لأنهم فارقوا الأجسام الكثاف ، لأن النفس خادمة للبدن بتحصيل أغراضها ، وهي مولية عنه •

فاذا عزلت نفسك عن قصر هذه البنية عاد كل شيء الى أصله
ومحله ، فاذا جاء وقت المعاد وجمع الأرواح والأجساد تحققت
القيامة الكبرى بظهور معجزاتها وما فيها من العقاب الأليم •
ولا خلاف عندهم في المعاد ، لكنهم قالوا انه للأرواح دون
الأجساد ، وهذا تعجيز فانه من بدأها قادر على اعادتها ، والروح
شريك البدن في الطاعة والمعصية ، كالأعمى والزمن اللذين اشتركا
في السرقة فأوجب الحاكم قطعهما ، والاشارة كافية لمن فهمها •
واعلم ان الدنيا كظلك ، ان أردت أخذه عجزت وان توليت
عنه جاءك راعماً ، وهكذا نطق المشرع صلى الله عليه وآله وسلم
حاكياً عن ربه « يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك
فاستخدميه » •

واذا علمت انها على هذه الحالة ونعيمها منتقل من قوم الى
آخرين ، وابن آدم ليومه لا يفكر فيما كان ولا ما يكون ، واذا
استراح من ألم لا يتخيل اليه ذكره ، وهكذا الروح لا تجد شيئاً
من تعب الموت اذا كانت من أهل النعيم •
أما ترى الناس كيف يتنافسون في طلب الرياسة الفانية ،
فمن علم دار البقاء كيف يفوته المقصد من الفوز العظيم ، وهي
المملكة التي لا تزول والمملك الذي لا يبور ، وقد علمت أن الزهد

هو العز في الدنيا والنعيم في الآخرة ، والراحة للبدن ، والغنى عن الناس ، والاشتغال بالله الكريم . وقد أشرت ونصحت «ولكن لا تحبون الناصحين» .

فصل في الروح

لما كان لابد من الكلام في الموت والروح وأسرارهما وجب القول أولاً في الروح : فمن طائفة تعلقت بزعمها انها عرض ، ودليلهم أن الجسد ما كوّن الا لها ، وطائفة تزعم أنها جسد لطيف لا تقبل الفناء قياساً بالسما ، وطائفة تزعم انها جوهر بسيط روحاني مدرك حساس ينتقش في ذاتها صور العلوم عند الانفصال والفرقة منها للجسد .

والطائفة التي تزعم أن الشرع قد سد الكلام فيها لما قال « قل الروح من أمر ربي » ، وهذا وجه الخطأ بمعتقدهم ، حيث يزعمون ان المشرع (ص) ممنوع عن الخوض فيها، وهذا لا يستقيم معناه ، فانه قد لوح في زناد كلامه «أعرفكم بنفسي أعرفكم بربه» . ثم ان المشرع ان كان كاملاً فقد عرفها ، وان كان ناقصاً فلا يجوز أن يكون مبعوثاً ، وانما المنع لأجلال العامة عن الخوض فيها .

والصحيح انها هي باقية بعد الموت بأدلة العقل والنقل :

فأما النقل — وهو النص — قوله تعالى : « لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » ، وفي هذا الحال لا يستقيم أن يكون في القدرة تخصيص وعموم في الموت . وقوله تعالى : « النار يعرضون عليها غدواً وعشياً » وقوله تعالى : « ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيّاً » ، ففيها تمثيل لفهام المخاطب ومعلوم أن الجنة ليس فيها ليل ولا نهار .

ومن الأدلة قوله عليه السلام : « ان نسمة المؤمن طائر تعلق في أشجار الجنة فيأكل من ثمارها ويشرب من أنهارها ، ثم يأوى الى قناديل معلقة تحت العرش الى يوم القيامة » .

وأما الدليل والبرهان العقلي هو : انا رأينا الميت كاملاً في صورته من غير نقص ، لكنه معدم الحركات مع النطق والعقل وسائر صفات يعرف بها الفروق بين الانسانية والبهيمية ، وانما الموت عبارة عن فاصلة بين الروح والجسد ، فاذا ذهبت عنه تعود الى عالمها الأول ، وهو عندنا العرش وعند الحكماء والفلاسفة هو العقل الفعال ، فان كان شوقها غالباً بقطع علائق الدنيا الى المحل الأعلى انقلبت مسرورة الى أهلها ، وان كان الشوق الى هذه الجهة الكروية وقفت مع ثقل ما هي فيه من مكتسب الأوزار

في فلك النار ، ومنعها ثقلها عن الطيران في النمط الموصوف بالاخير .
وهذا أكبر ذنب العبد ، وبه يعاقب في النار ، ومنه كشف
المشرع (ص) بقوله : « ان أرواح الأبرار لفي حواصل طيور
خضر ترتع في الجنة » ، فكلما كان شوقها غالباً الى العالم المادي
بقيت رهينة بذنبها ، وهو أكبر ذنوبها ، اذ هو حبها لغير جنسها
وكلما تلاشى الجسم واضمحل قل اشتياقها وقوي الشوق الثاني
الى المحل الرفيع ، ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم : « كلما
طال مكث جسد العبد في القبر نزل من ذنوبه » .

وبرهان هذا المعنى أن قلوب أهل الميت في اشتياقه ، وكلما
اضمحل شيء من جسمه نقص من حزنهم ، ومنه انشد منشدهم :
الى الحول تم اسم السلام عليكم

ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

وانما السر في وضع هذه الروح وملاستها لهذا البدن من
باطن وظاهر انه مركبها لنيل مقاصدها من العلوم التي ترسم
في ذاتها ، فاذا تريد وتختار أن تكون ذات نفسك علوية راقية
الى الرفيق الأعلى فابدأ بسحو صفاتك الذميمة ، واثبات صفاتك
المستقيمة من الشح والبخل الى الكرم والبذل ، ومن الجهل الى
العلم ، ومن الانكار الى المعرفة ، ومن الشر الى الخير ، ومن ظلم

الشبه الى نور الجلال ، ومن التكذيب الى التصديق ، ومن البطالة الى الاشتغال بالله ، والخلوة لتزكية النفس من الأخلاق الذميمة ، حتى تقوى نفسك الربانية في درجة الكمال ، فعند ذلك تنازعك في الانجذاب الى محل عليين ، فتصير في منازل الملائكة المقربين ، وتجاور جمال اللوح والعرش ، وتستمد القوة الالهية من العقل الفعال والفيض الالهي ، وتوقع بين جسمك ونفسك بقطع الشهوات وهلاك اللذات ، فيحدث زهد النفس في الجسد ، ويقع التمني بالانفصال لتتال اللذة السرمدية في الدار الأبدية .

وان غلبت النفس بعشق الجسد انجدلت عليه وسجنت معه فلا ترقى الى الجو وصار مصداقاً للذم من قوله تعالى : « ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء » . فاذا قام البرهان بخلاف رأي الفلاسفة على ان الروح الطيبة ترقى الى المحل الأعلى ، وتكون الروح مطلقة بحكم اختيارها ، وتزور أهلها وتجتمع بأبناء جنسها بطريق الملاذة والمفاكهة والمحادثة الشرعية ، كما نطق المشرع صلى الله عليه وآله : « ان الأرواح تجتمع بعضها الى بعض ، فيسألون روح القادم فيحدثهم عما جرى » وقوله عليه السلام : « ان في الأرواح خرساً لا تنطق ،

ألا وهم الذين ماتوا من غير وصية » •

وعلى وجه الشرع فالأرواح تتخيل بما تريد من طائر وسواه قياساً بالملائكة النازلين على الرسل بصور البشر ، فباستقرارهم من قرب الملائكة استمدوا من المحل ما اكتسبوه من جوهر خاصة اكتساب الملائكة ، فإن كان طبعاً فهو طبعهم • وانظر الى قول أمير المؤمنين عليه السلام ، فانه مع كثرة علمه وغزارة فهمه وقربه من مشكاة أنوار النبوة ، وانه ذبالة مصباح الالهية ، معتمر من زيت زيتونة ابراهيم كيف وقف بعتبة المصطفى ، فقال ما قاله من شكوى الحال •

ولأن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران وخاصيته مثل اتصال السمع بالمسوع والنظر بالمنظور • وعلى الجملة ما من نفس بارة أو فاجرة الا وكان الموت راحة لها ، وانما الخوف من مفارقة الروح الجسد • ومثال الموت كخدران وسكرة تظهر ، فاذا انفصلت عن الجسد عاد روعها ، وزالت عنها الأعباء الثقال ، ورجعت اليها صفة الكمال ، وتذكرت مكسبها من العلوم والأعمال ، ولهذا أشار عليه السلام « الناس نيام فاذا ماتوا اتبهوا » • فظهر أن الموت خير من الحياة للعقلاء بحكم المجاورة من

رب العالمين • فطوبى لمن كان قبره روضة ، وويل لمن كان قبره حفرة • اللهم اختم لنا بالخير والحسنى •

فصل في الموت

لما كان الموت أعظم المصائب وأكبر النوائب ، وهو أعظم هول شاهده الخلق ، ولا شك فيه لأحد ، اذ برهانه اجماع وتصديق ، والعجب ممن يشاهد بعينه ثم يطلب دليلاً من سواه • وهو القيامة الصغرى ، فاذا كورت شمس الحياة ، وانكدرت نجوم الصفات ، وعطلت عشار المعاني ، وحشرت وحوش الجهل في مروج العقل ، وسجرت بحار العافية بنيران الأسقام ، وزوجت النفوس الصافية بقرين العلم والكدر بالظلم ، ونشرت صحائف العمل قبالة ديوان النظر ، وبرزت جحيم الطفيان ، وأزلفت جنة الايمان •

علمت النفس عند ذلك ما قدمته من التوحيد ، وعقلته من التأييد الالهي ، فمن شدة السكرة ينفطر سماء النفس بانتشار كواكب العقل ، فيبقى العبد في منزلة بين منزلتين ، لأنه قد انقطع عنه وساوس الدنيا ومهماتهما ، ولم يكشف له أسرار الآخرة ، حتى اذا عاين صورة الملك طارت نفسه طالبة الى مقناطيسه

اذ الخاصة فيه ، من شاهده هلك .

وهذا لا ينكر ، فشاهده موجود ، وهو أن في الحيات جنساً اذا نظرت الى الانسان مات . والدهريون منكرون ، كيف يتصور أن ملكاً في السماء يقبض من في الارض ، وقد شاهد أرباب التصديق أن رجلاً ضرب حية فعضت على رجله فمات .

وفي الحيات جنس اذا نظر الى الزبرجد أو الياقوت الأخضر مات من وقته ، وذلك لتنافر بين المزاجين ، كما ان عسل النحل اذا وقع على اللبن الحليب وهو يغلي أفسد مزاجه وفرق بين الجبن والماء ، وخواص هذه الاشياء كثيرة وهذا من جبلتها .

قالوا : فكيف يقبض العبد ولا يشاهد القابض ؟ وقد شاهدنا بعين العقل ان كثيراً من الناس اذا ناموا يشاهدون في النوم ما لا يراه القريب اليقظان ، وهذا عندهم عرض قد حل في جميع العروق ، يتبيس حرارة أو برودة بخمود الانفاس المتحركة فاذا انطفئ البخار المتراقي من اللحم الصنوبري المتولد من الدم وورائه اللطيفة الالهية ، فالبخار سترها .

وغير منكر أنها نفس دموية وروحانية ، فالحركة والسكون من كسب الدموية ، والعلم الفارق بين الحقائق المعلومات من صفات الروحانية ، والعقل نور من أنوارها وحلية من حلاياها

فاذا جئمت النفس من جميع البدن ونفخ في صور العروق
اجتمعت اللطيفة عند عرش القلب، فخرجت من الحلقوم ثم تنجذب
حفية (١) .

ثم قالوا : لو كانت جوهرًا بسيطًا أو جسدًا لطيفًا لشاهده
بحدة النظر ، وهذا غير ممكن ، فان الشاهد هو محجوب بهذه
الجثة الترابية والزجاجة الطينية ، ونفسه لا تشاهده لأنها محجوبة
بغير جنسها ، فأشبه شئ بالسكن في البيت لا يحس بما وراء
الجدار ، فاذا نزع بطريق الخروج شاهدت الملاء الأعلى من مقام
المقربين والموقنين على قدر مكتسبها وقوة عملها ، وما كشف
لها من نور العقل .

ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام : احضروا لميتكم ذوو
النعمة الطيبة بطريق تعبير تلاوة حروف القرآن ، فان النعمات
عند الموت تقطع سماعها وساوس القلب من الدنيا وهموم فراق
الأهل والمال ، فيشتغل القلب بما يلقاه ، وتحته لذة النعمات الى
مقام السابقين ، فتقطع درجات التعب على نوق السباق بنعمات
الحدادة ، وتخلص من مهمة السكرات ، وتخوض في بحر الغيوم
حتى ينكشف له السر الالهي ، فترقى النفس من عقيب الجسم

(١) الحفي : المبالغ في الاكرام والمظهر الفرح .

وتصفو من شعبة العروق ، وتستريح من عظم مكابدتها ، فتلقاها
قرين البشرى بالنجاة الأبدية ، وبه نطق زناد القرآن : « الذين
توفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما
كنتم تعملون » •

وهذا الخطاب لمن زكى نفسه وصفافها ، وخلصها من ورطة
ظلم الجهل ، فقطع عنها علائق الدنيا ، وجعل همها واحدا ،
فيشاهد النفس ما تلقاه ، كما يشاهد النائم لذة ما يلقاه في المنام
من محل طيب ومعاشرة أحب ، لكن ذلك ينتبه ويزول ما يشاهده
وحال هذا على الدوام •

فكلما قوى حال النفس من العلم قوي حفظها بما ارتسم
فيها من نقوش نور الايمان والمعرفة بالله كما قال تعالى : « نورهم
يسعى بين أيديهم » وقال تعالى : « قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون » •

ثم يبقى المعاد ، فعندهم هو حشر أرواح صافية لمحاورات
العقل الفعال ، وعود كل شيء الى عنصره ، ونزاهة النفس حينما
تجده عند العود الى الوطن ، وهو الركن الأول •

ألم تر أن الغريب المثري يحن قلبه الى وطنه وان كان
فقيراً في الأول ، فالمانع الشاغل عن الحنين هو شغل النفس بلذادة

حب الدنيا الزائل عن قريب ، فلا تفتقر في هذا الى برهان ، لما تشاهده من القرناء والسابقين •

ثم تزعم بعقيدتك الصافية ان كتب البيع والسلم والفرائض هو العلم الذي يندرج معك في القبر ، أم معرفة علوم النكاح والطلاق ، أم الاحاطة بعلم الجنائيات ، أم علم اصلاح اللفظ والمنطق فهذه كلها سياسات الدنيا ، وضعها المشرع ليكون لهم احاطة وسبيلاً •

فالعلم النافع في القبر ما ارتسم في ذات النفس وانتقش فيها فاذا وضع العبد في قبره وكان — والعياذ بالله — مفرطاً ظهرت عليه أفاعي الانتقام من صور جهله ، تحركه بسوء فعله ، وعقارب الندامة تلدغه ، فبكأؤك للمهجة لا للجنة ، فهناك تشاهد ميزان العقل ومثاقيل العلم ، فتنظر أي الكفين أرجح •

فالميزان للعقل لا للخشب ، بدليل قريب ، وهو برهان قوي : ان الأعمى اذا وزن عنده شيء لا يشاهده ، لأن آلة النظر معدومة والنظر واسطة تنقل المشاهدة الى القلب ، والقلب يرسم الصور بطريق الفكر في ذات الروح ، وهي النفس اللطيفة الالهية • فعند عدم المقاصد الربانية يقول المشرع في الجاهل : « ادعوا له بالثبوت فانه الآن يُسأل » •

فيكيفيك آفات صفاتك المذمومة اذا ظهرت لك في ضيق

القبر عن كل منكر ونكير .

فاذا سلمت أوصافك من هذه المذمومات وثبت لها صفات المدح ، صفا اليقين وصار القبر روضة من رياض الجنة ، وأشرقت شمس العقل بنور ما اكتسبه من العلم بطريق التأيد من التوحيد وهو العلم النافع في طريق الآخرة « نورهم يسعى بين أيديهم » .
فهذا الفصل كاف في القيامة الصغرى - وهو معاني الموت - لمن عقل الكلام من الموقنين ، ولهم درجات لا تدرك الا بنور العقل وصفاء العلم ، فالمت عبارة عن قطع صلة حادثة بين الروح والبدن ، فانهم قائلون ان الفكر والوهم لا يتعلقان بذات النفس ، لأنهما في مقدمتي الدماغ ، فاذا عدمت الروح الحواس صارت عالمة بذاتها ، وغذاؤها ما عندها من العلوم ، فان كانت جاهلة فعند ذلك تقول : « يا حسرتي على ما فرطنا في جنب الله » .
والذي يصدقه الشرع هو أنها تعقل ما لها وما عليها ، فان كانت مذنبة قيدها الذنب فلا ترقى ولا تلقى ، فتكون في الارض كأعمى اختلفت الطرق عليه ، فهو يطلبه بعصاه بين جدران القبور كسائر الحشرات من دور الفلك ، وهم ونحن على ظهر الكرة وان كانت زكية طيبة رقت الى مقام الأنبياء والصديقين .

وأصل الشقاوة والسعادة حب الدنيا وبغضها ، كما قال عليه السلام : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » فمن شاء قلل ومن شاء كان من المكثرين •

فصل

في القيامة الصغرى والكبرى

أما بعد فانكم من الموت على خطر عظيم ، وسره في ذوات الأرواح جسيم ، وأنت مع ذلك عما يراد منك غافل •
والناس في أمره مختلفون : فقائل بين حار وبارد أو بلل أو عرض ، أو داء يؤل الى فساد الصورة ، والحال يتضمن قيامتين : فالكبرى وقد عرفت أهوالها ، ونحن نكشف لك سر الصغرى حتى تعلم أسرار القرآن ومعانيه ، وانه ما تركت على اختيارك وما تشتهي •

فاذا كورت شمس عقلك ، وانكدرت نجوم حسك ، وعظمت عشار ذهنك ، وحشرت وحوش جهلك ، وزوجت بعملك وعلمك وظهر لك خبث باطن نفسك ، عدت اليها باللوم أسفاً على ما فرطت في جنب الله ، ثم نشر المرض في صحائف حواسك وعروقك ، وكشطت سماء سموك والتحقت بالعدم ، وسعرت جحيم لؤمك لنفسك

حين فاتك الطلب بتزود العلم الكاشف لك حقائق المعلومات .
فان تكملت نفسك وطهرت عن رذائل الاخلاق الدنية ،
أزلت الجمال القدسية ، وانفطرت سماء جهلك عن نور عقلك ،
واتثرت كواكب طمعك عن حسيات جسمك ، فاذا تخلصت النفس
بعلومها الكاملة العقلية الشاملة ، فجرت لك بحار الفيض الإلهي
من العالم العلوي بعود النفس الى مكانها ، وتمكنها من العلم مع
امكانها ، وتسير جبال جسمك ، ويسري العدم بطريق التحليل
الى جميع أجزائك ، ويظهر لك منكر ونكير متصور من فعالك
وجهلك ، وتلدغك حيات نداماتك .

فما خاطبك المشرع الاعلى قدر عقلك ، وأي فائدة لك اذا
سلم غيرك ، وتزلزلت الارض بك ، وأي قدر لك اذا نفخ في
صور عقلك ، وعدت عند المعاد وأنت سكران بجهلك .

فانظر الى اشارة القرآن لك حيث أقام لك خيال المثل ثم
عكسه حين رمز بقوله : «وترى الناس سكارى وما هم بسكارى» .
فالصراط هو الطريق ، فاذا برزت النفس بطريق الكمال
صادفت نور عقلها أمامها ، وشرف عملها عن يمينها بطريق التقارب
لا بطريق العنديات ، فالعند والأين والكيف مدخلها على المكان
والحيز ، وهذه الرواح فقد خرجت عن مركبها والتحقت بعالمها

المنزه عن الكيف والأين ، لمجاورة العقل الفعال الذي نسميه
العرش ، لأنه يعرّش على كل ما يحاط به من الكائنات ، فإذا
عرضت على نفسك وكشفت لها حالة التفريط انتصب لها صراط
الحق وميزان العلم ، ووردت على حوض القرب من الملاء الأعلى
وصارت من الله بقرب أجل الأملاك .

فهي مشغولة عن المأكّل والمشرب بمجاورة مليكها بطريق
علو المنزلة والاحترام ، يفاض عليها الفيض الإلهي بقدر ما اكتسبه
من معرفته وتوحيده ، فهناك صفت الأجسام بالمجاهدة ، والعقول
برياضات العلوم ، واليقين بالتصديق ، والقلوب بالكشف ،
والالباب الصافية برفع حجاب الغفلة ، وظهرت النفوس عن محبة
الدنيا الفانية ، وخلصت من كدر الطباع ، وتهذبت بأخلاق
الأنبياء والعلماء .

فالعبد يستغني بذلك عن المأكّل الفاني ، والحال الخسيس
الداني ، ويظهر له من جنات العلو والسمو والدنو من الملك الكريم
حور حسان خيرات مقصورات الطرف عن سواه ، وأي حور خير
من حور المعاني في مقاصير قواليب أجسام الحروف ، تكشف
لك عن ساق مقدم الفكر وتلبس جمال المهاني بقرب الأزل ، في
خدور الدوام من وفاق كمال جبرئيل العقل ، فلا يلتفت الى

فواكه الجنة واعنابها وكواعبها وأترابها ، فلا قصور أحسن من
القصور عن رتب الجهل » أعددت لعبيدي في جنتي ما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » •

افتراك ما علمت النفس ما العنب والرطب والفضة والذهب
والقصور والحدور والأنهار والأشجار ، بلى والله لقد عرفتها وعلمتها
ولكنها ألفاظ ركبت لتقريب أفهام العرب : « كالسدر المخضود ،
والطلح المنضود ، والظل الممدود ، والماء المسكوب » ، والا
فخواص الصحابة لم يقتنعوا بمقنع العامة ومرتع الدواب ، حتى
قال قائلهم في المعرفة : « سبحان من لا سبيل الى معرفته الا بالعجز
عن معرفته » والآخر يقول : « لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً »
وبعض العارفات قالت : « هبك انه لم يخلق جنة ولا ناراً فما هو
أهل للعبادة كيف أوجدك » •

وقرأ القارىء « جنات تجري من تحتها الأنهار » قالت
رابعة : ما يصنع المشتاق بماكل ومشرب ، ان في معاشره الملوك
غنى عن الطباخين •

فخواص الصحابة لم يقنعوا بمقنع العامة ومرتع الدواب ، حتى
الأجرام لكل واحد ما تمنى وطلب ، لأنها معان تنتقش في النفوس
كمن حدث نفسه بشيء في النهار فرآه ليلاً ، وإذا تنعمت النفوس

الكريمة الطاهرة العليمة لا يضرها من شقاء غيرها « لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » •

فاذا قامت القيامة الصغرى — وهي قيامة الموت — بأن لك فيها جميع ما يتجدد في القيامة الكبرى ، الا أن في القيامة الكبرى حالة الاعلان والحساب على رؤوس الأشهاد ، وختم الأفواه وشهادة الجوارح بقدر مكتسب العلم والعمل ، والفاسق المعذب هو الخارج بجهله ، ولقد سدد حب الدنيا لطالب لذتها جماعة من الأشقياء ، مسخهم طلبها في صورة القردة والخنازير ، فمألك لا تفهم ، لا آدم أكبر من العقل ، ولا شيطان أعوى من الهوى ولا سم أقتل من الجهل •

فتبين لمن فهم سر قوله تعالى : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا » •

أما نظرت أسرار القرآن كقوله تعالى : « وأنزلنا عليهم الكتاب والميزان » •

ولكن اذا أخذت وجمعت صحيح العلوم في كفتي ميزان المفهوم على صراط المعلوم بسحك الأحوال تبين لك من هو الهالك والناجي ، فلما تفوتك المقاصد من العلوم العقلية الالهية تعض

كف جهلك ندماً ، وتقول : « رب ارجعوني لعلي أعمل صالحاً » .
فقد تبين الآن وانكشف ولاح لمن عرف ، والله الموفق لكل طالب
ما طلب ، انه لطيف بالطالبيين ورؤف بالمؤمنين .

فصل

في أسرار النبوات

اعلم أن النبأ مأخوذ من الخبر ، فتقول « نبأني » أي
حدثني ، وللنبوة أسرار :

أولها خمير السعادة من قبل الأزل ، ومن لوازمها قطع
العلائق من الدنيا سوى الضروريات ، كإقطاعه (ص) وتحصنه
بجبل حراء ، حيث كان يشاهد شخصاً عن يمينه يجري .

ولأمية بن أبي الصلت حالة دلت على مثل ذلك .

ثم الوحي هو إعلام في إخفاء ، وعندنا هي مخصوصة على
شخص بعينه كسائر الخواص في الأدوية والعقاقير ، فمن طبع
الاهليلج التقبض ، وهكذا طبع العفص والبلوط وقلوف الرمان
والسماق ، فاجتماعها تؤثر فيمن انسهلت طبيعته بطريق الحرارة
وخاصية « المحمودة » الاسهال ، وهكذا في البنفسج المشروب ،
ومعاجين الورد ، والتريد الاصفر .

وشراب الورد خاصيته مع الثلج بخلاف الشربات البواقية

ومن جملة الخواص ما في حجر المقناطيس وجذبه للحديد، وحجر
البذلة للذباب والظلمس المعلق لزوال النوم ، وحجر العطوف الذي
يجذب قلوب الرجال والنساء ، والحجر الذي يصفق به فينحدر
المطر ، وهو من أحجار الصين ، والجبل الذي يسלט على ساكنه
السبات والنوم حتى يموت ، وحجر الياقوت الذي لا تتسلط
عليه النار .

وكذا دهن الطلق أيضا اذا أدهنت به جسدك فلا يتسلط
عليك النار وفتيلته لا تحترق في السراج ، وكذا المناديل المتخذة
من أوبار أرانب سمندل الصين ، وحب اللؤلؤ المؤثر في السموم
والتراوند الخالص للأكباد الحارة وهو في نفسه حار ، والبيضة
الملفوفة في الخرق ولا يؤثر النار فيها .

والطواييث المركبة مثل الحبشية للبغض ، والهندية للمسحبة
ومثل سحور النساء لجمع همهن ، وللسحر تأثير كتأثير عين
المصابة ، ومثل الحروف المقطعة المركبة لبلوغ المقاصد ، فاذا
أردت ذلك تأخذ رابعا من كل ثلاثة أحرف من حروف «أ ب ت ث»
فتوسع منه كلاما لما تريد فيما تريد في وقت سعيد ، منزه عن
النحس والتربيع ، فمع علو الهمة يحصل منه التأثير .

ومن السحر المكاحل والمذاري المزيّنة ، والنقاح المخاطبة ،
ولعبة الرّجل ، وركوب الذبل ، ورقى الكانس خلف الأبواب .

ومن الأمور الكبار مثل الرقاء الذي تحدث مخاطبة الجن في الآبار ، وقلب العصى حيات ، وعقارب النحاس ، والسداب المانع للسحر ، ومنع الحديد في المراكب ، والخردل المرقى ، والشعير أيضاً ، وطلسمات الرباط والحل ، والضحك من تناول الزعفران . فهذا وأمثاله كثير ، وكل خواصه لا يداخل بعضها بعضاً .

فالقادر القديم رتب خواص النبوة في خواص الرجال كترتيبها في هذه الأنواع المذكورات ، وقد يختص الوحي شخصاً دون شخص ، كالقوى المتفاوتة ، فانك ترى ما لا يراه صاحبك وتسمع ما لا يسمعه سواك .

وقد مرت بك أحاديث أصحاب الفراسات ، فترى المصروع ينطق لحاله معارضة ، وقد يقوى الخيال حتى يصير تمثلاً ثم يصير أليفاً ، وقد يرى البصير ما لا يشاهده الأعمى ، فان آلة نظر الأعمى معدومة .

فحالاتك غير مستقيمة ، وأكبر حجاب لك حب عرض الدنيا وقد مرت بك أحاديث ليلة الشعابين ، حين ظهرت الأفاعي في وادي بني اسرائيل ، فاتخذ لهم موسى عصاً من نحاس وضع في رأسها صليلاً وفيه طلسم ، فلما شاهده الأفاعي ماتت جميعها ، ثم انسحب

الثعبان حتى ابتلعها عن آخرها •

ومن جملة الخواص أن رجلاً ضرب على حية حجراً فعضتها فمات الرجل ^(١) ، وأخرى تنظر الى الرجل فيموت ، وماء الحيوان في الأرض يحبي به الله من يريد •

ونزول الوحي على النبي المخصوص ، وهو كبعض هذه الخواص • قالوا : وسره هو اطلاع الأنبياء على علوم المتقدمين فعرفوا أسرارهم وعملوا ما أرادوا ، وهذا عندنا قبيح ، فإن الله قادر متمكن حكيم ، يسري فيض سعاداته بطريق التحرك بواسطة الارادة الى من يقيمه مصلحة للخلق •

وقد تعللوا في بساط سليمان وزعموا أن السحر كان مدفوناً تحت كرسيه بالطلسمات ، واليوم بالمغرب طائفة تستخدم الجن كيف تريد بالطلسمات والخواتيم والعزائم •

والمنجمون يخاطبون الكواكب بالبخورات حتى يسعون الكلام من الكواكب ، وإن وقع الإنكار على أن النجم لا يخاطب أحداً ، فقد وقع الاجماع على أن النجوم غير جماد ، وهي حية عارفة مريدة ، تقبل في سعادها ما تكلف وتقدر •

(١) أي أن الحية لدغت الحجارة التي رماها بها فانعكس

التأثير على الرجل ومات •

فهذا النبي المخصوص كشفت له القدرة عن أسرار الوحي
المبين ، وانهم يقولون ان بطليموس خاطبته الملائكة من السماء
وليس فيكم غيره ، ولا فينا سوى محمد صلى الله عليه وآله ،
وخاصيته كخاصية بطليموس •

ولما كانت الرموز مفهومة عند أربابها ، رمزت هذه الجبل
ليفهمها من يفهمها ، فاذا طفت بنفسك في رسائيقها فلا بد من
طهارتها بكمال العلوم والمجاهدات ، فعند ذلك يظهر آدم عقلها ،
ونوح عزها على جبل صفاء اليقين ، ويسمع موسى الفضل من
فوق الجبل نداء اخلع نعل حب الدنيا « اني أنا الله رب العالمين » •
فيك الأنبياء ان عقلت ، ومنك الملائكة ان فهمت ، وقلبك
بيت الرب ، وهو عرش الجلال ومهبط الملائكة ومنزل الرحمة ،
فاذا ظهر منه داود دائك اكسره بوعظ جبرئيل عقلك ليظهر من
تواجه سليمان سلامتك ، قاعداً على بساط كسر النفس ، مغلقاً
لباب الشهوات ، مصفداً لجن جنائك محضراً لعرش بلقيس النفس
وأنت محجوب بحب الشهوات وعارض حب الدنيا ، لا شيطان
أكبر من هواك ، وانظر الى سجد ملائكة اطرافك لآدم نفسك
النازلة في بروج طينتتك ، التي هبطت من جنة القرب الى الجسم
الضيق الكثيف •

وقد وقع الاجماع من العلماء على ان تصوير صورة الكلب على لبساط يمنع نزول الملائكة في ذلك البيت ، وأنت في بيت هيكلك عشرة كلاب ، فاجتهد في قلعها وطردها لتشهد ما كشف للأولين . وهي : كلب الحرص ، وكنب الأمل ، وكنب الكذب ، والشح ، والبخل ، والرياء ، والنفاق ، والحقد ، والحسد ، والتدفع ، والنميمة . فهذه اعداؤك وأنت عنها غافل .

ثم تريد معائب مناقب الأنبياء ، أما سمعت ما نطق به المشرع صلى الله عليه وآله « يحشر يوم القيامة جماعة على صور الخنازير والقردة والكلاب » .

فاذا أردت نهاية الكمال بكشف الأسرار فعصى سرنديب ينقلب لك حيات ، واذا أردت معاني الطلسمات فعليك بكتب جابر ابن حيان ، وانظر كيف قد بيّن طريق الكهانة وكان من أكابر أصحاب جعفر الصادق عليه السلام .

وقد سمعت بالحيثين الموكلتين بسرير سليمان في حديث بلوقيا وعفان .

ثم من حدثك أن ذا القرنين سار من مطلع الشمس الى مغربها سوى القرآن الكريم الذي سير همتك العالية بمقاييس العلم في ظلم الطبع حتى اشرقت عليها شمس اليقين ، وغابت في عين

حمئة فسلكت جميع مناقب أرض جسدك ، وخضت في بحار طبعك
فوجدت بها جواهر القدس ، فان ضرب على قلبك سد الطبع
ظهرت يأجوج ومأجوج الغفلات من ثمار الشهوات ،
فكهفك جسدك وأصحابه إيمانك وكلبك حرصك • جف القلم
بما هو كائن الى يوم القيامة •

فصل

في الفرق بين المعجزة وغيرها

ولنا أن نعلم درجات النبوات والرسالات والكرامات
والنيرنجات والمعجزات والخزعبلات ، فالنبي لنفسه مثل يحيى
والخضر وغيرها ، والرسول يأمر بما أوحى اليه ، فالمعجزات خرق
العادات : كانشقاق القمر ، وخطاب الذئب ، وسجود الشجر
والدواب • ولها أصول موضوعة وأسرار مرموزة •

والكرامات كالمعجزات ، بل انها آية للنبي (ص) مأمور
بإظهارها ، وعون للولي مأمور بسترها ، تحدث باختياره
وبغير اختياره •

وأما الخزعبلات والسحريات والنيرنجات فلا تظهر الا بواسطة
تركيبات وتبخيرات وآلات خاصة معدة لذلك ، بخلاف المعجزة
والكرامات ، فان مجرد أنفاس النبي والولي كاف في إظهارها
من غير احتياج الى عدة وآلة •

واما النيرانجات فطريقها معروف ، كاشتعال السراج بالماء
وتسييرها في الأبواب من غير أن يحمله أحد ، وفيهم من يجعله من
النهار ثلاثة أيام أو أكثر ، وكاظهار الفواكه في غير أوانها ، واظهار
الذهب في الهواء ، وتدهين البدن بالطلق فلا تمسه النار .

وبالهند أحجار وأشجار اذا شاهده الحيوان سجد له .
وقد يعملون بالهند بخوراً كل من شمه أو شاهده أخذه
البكاء من غير اختيار ، وهذا ممكن لأن من تحيّل بجلب الدمع
من العين من غير بكاء يأخذ من عصارة ماء الخردل مع الكندس
بسنديل يستجذب منه ريحاً مبكي ، ولا يعسر هذا الحال ، فيتحيل
على الناس كثيراً .

ومنها دفع السموم بالدرياق النافع ، مثل البندق والعسل
الخام اذا خلطهما واكلهما لا تضره لسعة العقرب . وكذا «العقلي»
مع الزيت اذا طلى به مكان اللدغة فأنها تشفى وتبرأ ، وكذلك
الخل المغلى فانه يجذب سموم اللدغة اذا طلي عليها .
ومنها خاصية حجر الياقوت في منع العطش .

وقد سمعنا ان بالهند جماعة عندهم رقيات وتعويزات اذا قرأها
على التنور وقع الخبز كله ، وعلى القدر فيقطع غليانه ، ويقرأ
على السفينة فتقف عن سيرها في البحر ، وعلى الكلاب فلا تنبح .

ثم بوادي حضرموت عند المغارة الحمراء جبل وفوقه
شجرة سدرية وهو بقرب قبر هود عليه السلام ويؤخذ من أحجاره
فصوص ويركب على الخاتم وقت مقارنة الزهرة مع المشتري ،
فاذا تختم به الانسان إن اشار الى الريح في الهواء فلا تسكن
حتى توصلك الى مطلوبك .

وهذه الخزعات التي ذكرناها كلها لا تقوم الا بآلات
وتبخيرات ، وأصحابها ما لهم نور ولا صفاء ، بل حالهم كسائر
أهل الصنائع والحرف يزاولون صنعتهم ، بخلاف الأنبياء والرسل
الذين لا بد من وجودهم لسد حاجات العباد وانجاح مصالحهم ،
فهم عليهم السلام قد صفت نفوسهم وظهرت أنوارهم بحيث لو
نظر اليهم من له عين بصيرة لفرق بينهم وبين سائر الناس
العاديين .

كما في قصة الأعرابي حين دخل مسجد النبي (ص) ، فلما
عابن الى النبي (ص) تبسم وقال : ما هذا وجه كذاب ، وأسلم
في الحال من غير أن يطلب منه معجزة .

فنفس الأنبياء كالمغناطيس في جذب النفوس المظلمة من
هاوية الجهل الى مشارع الحق ، ولا يستعينون فيما يظهرونه
من العجائب الخارقة للعادة الى عتمة وآلة وتبخير وتسخير ، بل

يتصرفون في العالم العلوي كشق القمر وفي الأرض كفلق الحجر
وسجود الشجر ، وبركاتهم تعمز الأقطار ويبقى المدار •
اما السحريات فانها تفنى عن قريب ولا تؤثر الا في نفس
خاص في أحوال مخصوصة •

واعلم ان النبوة والسلطنة العامة توأمين ، فبهما تتم مصالح
الدنيا وسياساتها وعماراتها ، فتسكن الهياج والنزاع وتزيل
الشروع عن الناس ، كالبدن اذا طغى دمه يسكن هياجه بالفصد
والحجامة •

واعلم ان أشرف البقاع (مكة المكرمة) لظهور المؤيد
المنصور من أرضها ، ثم السكنى بقرب دار الشرع لأن بركته
تشمل المجاورين بفنائها قياساً بظل الملوك على من حلّ حول
حماهم ، ثم مقام آثار الأنبياء والأولياء كالقدس والخليل في فلسطين
وعبادان وانطاكية ومقام الامام المنتظر عليه السلام بالعراق ، لأنهم
تمحّضوا عن الشجرة النبوية فأصابتهم قاذحة نور السعادة ،
ومنها جبل الجودي فان باب الوحي اليه مفتوح وفيه يرتفع دعاء
الراجي من كرمه تعالى وعفوه ، فانّ للدعاء تأثيراً في السماء مثل
تأثير الأتقاس في استسقاء ماء الغمام •

ومنها بيت نوح (ع) فإنه يشمل مقاصد الدعاء ، كما حكى

تعالى عنه « ولمن دخل بيتي مؤمناً » وكذلك معابد المنقطعين
الى الله المتبتلين الذين لا يشوب عملهم درن الرياء •
والسر فيها هو صدقهم واخلاصهم في اتباعهم لآثار الأنبياء
والأولياء والصالحين ، فانجذبوا بخلوص همهم ونزاهتها عن
كدر الدنيا ، فجذبوا رشاشاً من أنوارهم فاستناروا ونوروا
وعملوا فأصابوا •
وحسن الظن مقناطيس القلوب يجذب به صفاء ووفاء ،
وبلوغ درجات السابقين •
والله نسأل أن يوفقنا لإقتفاء آثارهم واقتباس أنوارهم ،
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين •

ملاحظة هامة

لقد فاتنا في المقدمة ذكر الطبعة المصرية لهذا الكتاب وبالإضافة
الى الطبعة المطبوعة في مصر تكون طبعتنا هذه هي الطبعة
الرابعة . . .

الطباطبائي الحسني

فهرس الكتاب

كلمة الناشر	٢
ترجمة المؤلف	٣
كلمة المؤلف	٨
(المقالة الاولى) تدبير أمور المملكة	١١
(المقالة الثانية) قعود الملك وسياسته	١٦
(المقالة الثالثة) مسامرة الملك	١٨
(المقالة الرابعة) ترتيب الخلافة	٢٠
(المقالة الخامسة) سياسة الملك مع الجند	٢٤
(المقالة السادسة) ترتيب الولاية	٢٧
(المقالة السابعة) ترتيب حاشية الدولة	٣٠
(المقالة الثامنة) ترتيب الحجاب والكتاب	٣٦
(المقالة التاسعة) ترتيب الخباز وغيره	٣٧
(المقالة العاشرة) استعداد الملك لمقابلة العدو	٤٠
(المقالة الحادية عشرة) سفر الملوك	٤٣
(المقالة الثانية عشرة) نوم الملك	٤٥

- ٤٧ (المقالة الثالثة عشرة) في الناموس الاعظم
٧٥ (المقالة الرابعة عشرة) في الحقيقة
٧٩ (المقالة الخامسة عشرة) قطع دليل المستدل
٨٢ (المقالة السادسة عشرة) الطهارة وأسبابها
٨٥ (المقالة السابعة عشرة) الحيض والنفاس وغيرها
٩٣ (المقالة الثامنة عشرة) كتاب الصلاة
٩٩ (المقالة التاسعة عشرة) معرفة حقائق الاشياء
١١١ (المقالة العشرون) عزائم التسخير
١١٤ (المقالة الحادية والعشرون) في التوحيد
١٢٢ (المقالة الثانية والعشرون) وجود العالم
١٢٦ (المقالة الثالثة والعشرون) في الاشربة
١٣٠ (المقالة الرابعة والعشرون) صفات العاشقين
١٣٦ (المقالة الخامسة والعشرون) في آداب المائدة
١٤٠ (المقالة السادسة والعشرون) تهذيب النفس
١٤٦ (المقالة السابعة والعشرون) في السعادات والنبوات
١٥٢ (المقالة الثامنة والعشرون) في الاذكار
١٥٧ (المقالة التاسعة والعشرون) جهاد النفس

- ١٦٤ (المقالة الثلاثون) المحبة والشوق والمكاشفة
١٧١ (فصل) في الزواجر والمواعظ
١٧٣ (فصل) في العلم والعمل
١٨٦ (فصل) في علو الهمم
١٩٠ (فصل) في الرد على ابن سينا
١٩٤ (فصل) في الزهد
٢٠٣ (فصل) في الروح *Bach*
٢٠٨ (فصل) في الموت
٢١٤ (فصل) القيامة الصغرى والكبرى
٢١٩ (فصل) في اسرار النبوات
٢٢٥ (فصل) الفرق بين المعجزة وغيرها

انتظروا صدور كتاب

المطالب المهمة

في أحوال الأئمة

*PB-39115

٥-01T تأليف

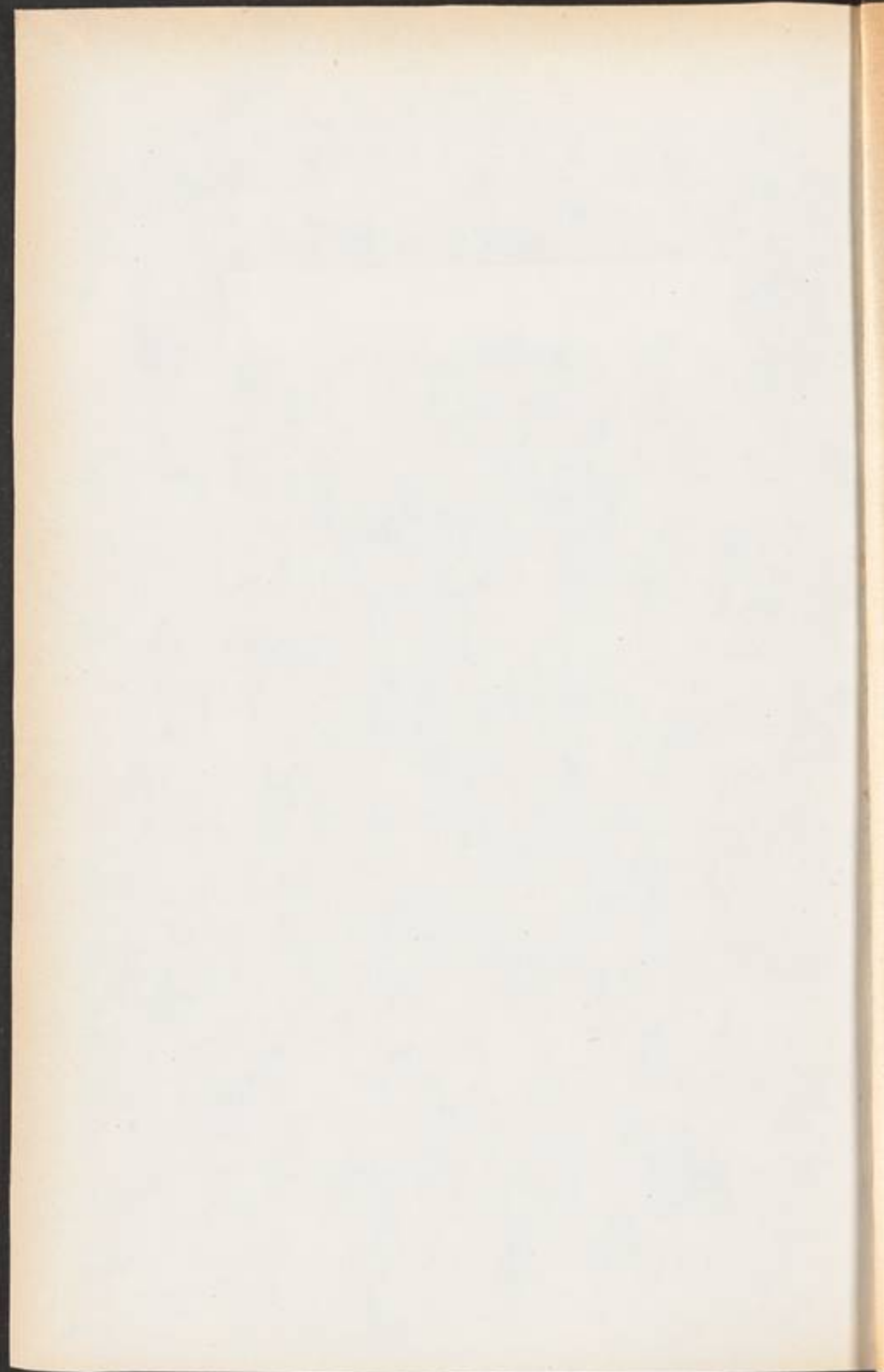
CG

الخطيب الكبير السيد علي الهاشمي

منشورات

مكتبة الثقافة الدينية

B







**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**



NYU - BOBST



31142 02841 8203

JC393.A3 G44 1965 Sir al-salamayn wa-kashf ma fi